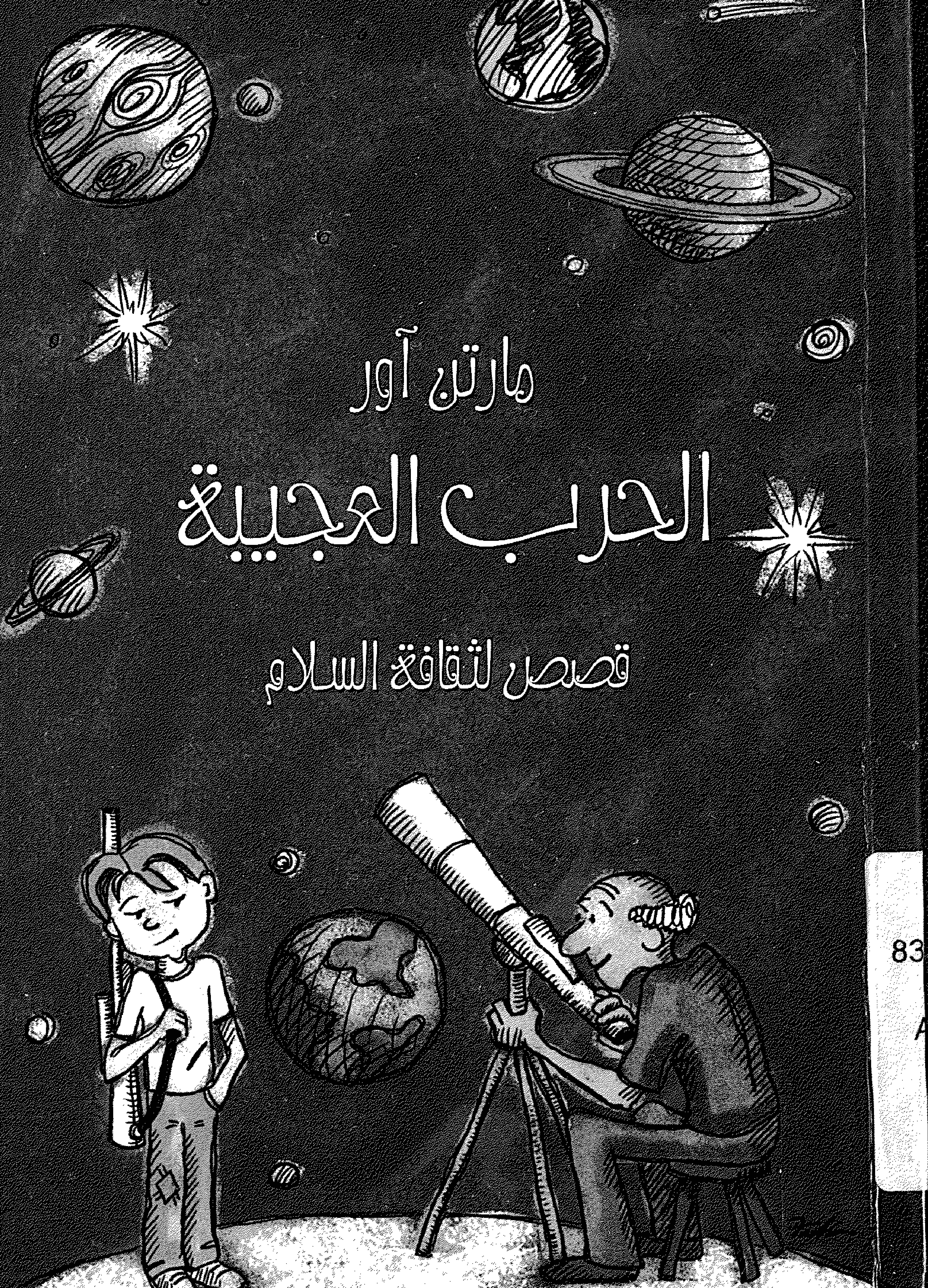

مارتن آور
الحرب العجيبة
قصص لثقافة السلام

GIFTS 2006

SIDA

Sweden

الحرب العجيبة



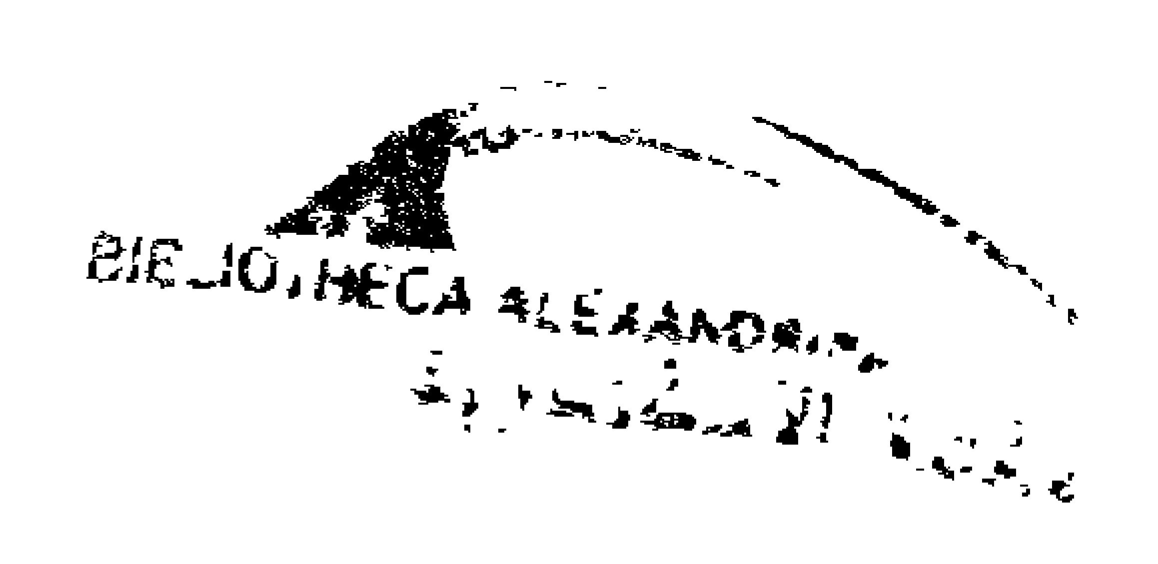
دار الياس العصرية للطباعة والنشر

مارتين آور

الحرب العجيبة

قصص لثقافة السلام

ترجمة: هالة شريف



ولد الكاتب مارتين آور فى فيينا بالنمسا فى عام 1951. وبدأ حياته المهنية كاتبًا مسرحيًا وممثلا فى مسرح بيت الفنون بفيينا، ثم تفرغ منذ عام 1984 للكتابة للأطفال، ومن مؤلفاته المصورة: قصة:"بمبو وعصفوره"، وقصة:"الصغيرتان ليزا وراديسا"، وقصة:"النسر ذو اللحية"، وقصة:"الساحر العجيب". وحصل الكاتب على العديد من الجوائز على مختلف أعماله، وتُرجم الكثير منها إلى لغات مختلفة، وهذه المجموعة أول ما ترجم من أعماله إلى اللغة العربية.

الطبعة الألمانية:
Der seltsame Krieg
Geschichten für den Frieden

Programm Beltz & Gelberg, Weinheim
ISBN 3-407-78436-8
وقد صدر هذا الكتاب باللغة الألمانية بمناسبة إعلان منظمة اليونسكو عام 2000 بداية عقد نشر ثقافة السلام. ويفسح الكاتب الحوار عبر موقعه على الإنترنت: www.MartinAuer.net

الطبعة العربية:

1 شارع كنيسة الروم الكاثوليك. الظاهر. القاهرة. ج.م.ع.
ت: 5903756 / 5939544 202++ فاكس: 5880091 202++
e-mail: eliaspub@tedata.net.eg

تأليف: مارتين آور
ترجمة: هالة شريف
صياغة لغوية: أحمد سويلم
الغلاف: فادية بدراوى
طبع بمطابع دار الياس العصرية للطباعة والنشر

رقم الإيداع بدار الكتب: 3067/2005
الترقيم الدولى: 6-102-304-977
Erste Auflage 2005
Der Titel erscheint in einer Kinderbuchreihe, die in Zusammenarbeit mit dem Goethe-Institut von einer Gruppe arabischer Verleger herausgegeben w
Die Mittel zur Publikation wurden vom Auswärtigen Amt über Sondermittel bereitgestellt.
الطبعة الأولى 2005
ينشر هذا الكتاب ضمن سلسلة لكتب الأطفال، يتولى إصدارها نخبة من دور النشر العربية بالتعاون مع معهد جوتة. قامت الخارجية الألمانية بتقديم الدعم المادى لنشر هذا العمل.

مقدمة

موضوع هذا الكتاب موضوع جديد يمس الواقع الذى يعيشه عالم اليوم، عالم الصراع والحروب، وفى هذا الكتاب أفكار كثيرة تدور حول فكرتى الحرب والسلام. بعضها يدور فى عالمك الصغير، والبعض الآخر يدور فوق كواكب من صنع خيال المؤلف، فبعض أبطال القصص بشر مثلى ومثلك، ولها أسماء مثلى ومثلك، وبعضها الآخر يتخذ أسماء أخرى عجيبة، فيثير فيك الخيال والمتعة.

ثم يا صديقى القارىء: ماذا تفعل لو كان فى يدك بندقية؟ ماذا تفعل لو كنت قائدًا عسكريّا لبلد مهاجم؟ أو ماذا تفعل لو كنت قائدًا عسكريّا لبلد مسالم؟ ماذا تفعل لو امتلكت سلاحًا مدمرًا أو سمًّا قاتلا قد يدمرك قبل أن يدمر عدوك؟ أو ماذا تفعل لو كنت تتصارع مع غيرك على حق مشترك أو أرض غنية بالثروات والخيرات؟

ثم ماذا يعنى السلام؟ هل يعنى العيش فى وئام وأمان؟ أم يعنى العيش دون خوف من الآخر؟ أم هل يعنى السلام نزع السلاح تمامًا؟

إن هذه الأسئلة وغيرها سوف تجد إجاباتها خلال هذه المجموعة المنوعة من القصص، فتضىء أمامك الطريق، وتجعلك واعيًا بكل ما يدور حولك من صراعات، وتساعدك على فهم ما يدور بين البشر فترسم أنت بنفسك مستقبلا يسوده سلام واطمئنان.

المترجمة

الحالم

كان يوجد رجل يحلم ويتخيل. يتخيل مثلا أن الإنسان يمكنه أن يرى الأشياء على بعد عشرة آلاف كيلو متر، أو يتخيل أنه يمكن أن يحتسى الحساء بالشوكة وليس بالملعقة، أو يتخيل أنه يمكن أن يقف مقلوبًا على رأسه، أو أنه من الممكن أن يعيش دون أن يشعر بالخوف.

وكان الناس يقولون له:"إن هذا كله مستحيل، أنت تحلم، أنت لست إلا حالمًا"، وكانوا يقولون له أيضًا:"يجب أن تفتح عينيك وتتقبل الواقع"، ويقولون:"هناك قوانين الطبيعة التى لا تسمح بأى تغيير".

ولكن الرجل كان يرد عليهم ويقول:"لا أدرى. ولكنى أتخيل أنه من الممكن أن يتنفس الإنسان تحت الماء، وأنه من الممكن أن يكون هناك طعام يكفى كل الناس، وأنه من الممكن أن يتعلم كل واحد ما يحب أن يعرفه. وأتخيل أننا يمكن أن نرى ما يحدث داخل أمعائنا".

وكان الناس يردون عليه قائلين:"لا تتعب نفسك. لا يمكن أن يحدث هذا. لا يكفى أن تتخيل شيئًا وتقول من الممكن أن

يحدث فيحدث. لقد وجدنا أنفسنا فى عالم لا نستطيع تغييره حتى بالحلم. هذه هى خلاصة القول".

فكر الرجل ثم قال: ألستم معى أن الإنسان الذى اخترع جهاز التلفاز ثم الأشعة المقطعية أصبح فى مقدوره أن يرى على بعد عشرة آلاف كيلو متر وأن يرى ما بداخل أمعائه؟

قالوا له: حسنًا. إننا نعترف بذلك ولا نستطيع أن نقول إنك على غير حق.

فاستطرد الرجل يقول: كذلك عند اختراع أجهزة الغطس استطاع الإنسان أن يتنفس دون مشاكل تحت الماء.

ثم سرح الرجل وقال: إذن. من حقنا أن نتخيل أنه سيجىء يوم يعيش فيه الإنسان بدون حروب!

الصبى والبندقيـة

هناك بعيداً خلف النجوم يبدو كل شىء مختلفًا. وحينما نبتعد أكثر يبدو أيضًا كل شىء مختلفًا كل الاختلاف عن هناك وعن هنا. ولكن حين نريد أن نطير بعيداً، بعيداً جداً، إلى أبعد مكان، حيث كل شىء مختلف عن أى شىء، عندئذ، من الجائز أن تتشابه الأشياء مرة أخرى مع كل شىء هنا.

هناك، فى هذا المكان البعيد يوجد كوكب كبير مثل كوكب الأرض يعيش فوقه أناس يشبهوننا تمامًا إلا أن لونهم أزرق.

ومن المحتمل أن حربًا عنيفة قد اشتعلت فوق هذا الكوكب، ومات كثير من الناس الزرق، وخلفت الحرب وراءها كثيراً من الأطفال الأيتام.

وفوق أطلال بيت من البيوت دمرته القنابل جلس صبى صغير أزرق يبكى فراق والده ووالدته. جلس طويلا هكذا يبكى ثم سكت عن البكاء بعد أن أفرغت عيناه كل الدموع.

نهض الصبى من جلسته، فرَد ياقة قميصه، ووضع يديه فى جيب بنطلونه، وبدأ فى السير فى حزن عميق ويأس، فإذا ما رأى طوبة يقذفها بعيداً، وإذا ما رأى وردة يدوس فوقها.

صادفه كلب صغير وهو يمشى. نظر إليه الكلب وهزَّ ذيله ثم أخذ يلف حول الصبى مقتربًا منه وكأنما قرر أن يتبعه فى أثناء سيره.

قال الصبى للكلب: اذهب بعيداً عنى. يجب أن تبتعد. فأنا أخشى أن أعطف عليك وأحبك إن بقيت بجانبى. وأنا لا أريد طوال حياتى أن أحب أحداً.

نظر إليه الكلب وهزَّ ذيله مرة أخرى. التفت الصبى فوجد بندقية ملقاة بجوار جندى فارق الحياة. رفع الصبى البندقية ولوَّح بها للكلب، وقال له: هذه البندقية من الممكن أن تصيبك. فخاف الكلب واندفع يعدو بعيداً.

قال الصبى للبندقية: سآخذك معى. ستكونين الرفيق الطيب لى.

وأطلق الصبى طلقة من البندقية فى اتجاه شجرة ميتة.

مضى الصبى فى طريقه وفى أثناء سيره وجد بقايا طائرة صغيرة ذات مراوح ملقاة على الأرض، فدخل فيها وحاول أن يدير محركاتها فوجدها تعمل.

قال الصبى لنفسه: "إن معى الآن بندقية وطائرة مروحية. من الآن سأعتبرهما أهلى. كان من الممكن أن يكون لدى كلب

وديع، لكنى خشيت أن تصيبه طلقة بندقية فيموت، وإذا حدث هذا فسأبكى كثيراً وأتحسر على فراقه".

طار الصبى بطائرته حتى رأى منزلا يتصاعد منه الدخان. قال الصبى محدثًا نفسه:"هناك إذن من يعيش بداخل هذا البيت". ثم طار حول البيت ونظر من خلال النافذة فوجد سيدة عجوزاً تقوم بطهى الطعام. حطّ الصبى بطائرته أمام المنزل وأخذ البندقية ودق على الباب.

خرجت السيدة العجوز، فقال لها الصبى: إن معى بندقية وعليك أن تعطينى شيئًا آكله.

قالت السيدة العجوز للصبى: سأعطيك طعامًا تأكله ولكن هل لك أن تضع البندقية التى معك فى هدوء بجانبك؟

قال الصبى لها فى غضب: لا تكونى ودودة معى، فبندقيتى يمكن أن تصيبك.

فأعطته السيدة العجوز طعامًا وخرج الصبى من عندها وطار مرة أخرى بطائرته إلى أن استقر فى مخبأ بيت مهجور وعاش فيه.

وحينما يشعر بالجوع يطير بطائرته إلى أن يلمح شخصًا، فيهدده بالبندقية ويأخذ منه ما يكفيه من طعام.

وبين الحين والآخر كان الصبى يطير بطائرته إلى ميدان القتال ويجمع بقايا الآلات والعربات الملقاة هناك بعد الحرب ويذهب بها إلى مخبأه.

فكر الصبى، وقال:"سأصنع من هذه البقايا إنسانًا آليّا ضخمًا، سيكون طويلا ويزن آلاف الأرطال وفوق رأسه سأثبت كابينة القيادة وعندئذ سأكون قويّا ولا يمكن لأحد أن يؤذينى".

وفى أثناء انهماكه فى العمل مرت فتاة جميلة بجوار المخبأ، فرآها الصبى وخرج لها ببندقيته، وقال لها: يجب أن تذهبى بعيداً عن هنا، فبندقيتى يمكن أن تصيبك.

قالت له الفتاة: أنا لا أريد منك شيئًا لقد خرجت لأرى إن كان عيش الغراب قد نما فى الأرض مرة ثانية.

فقال لها الصبى: يجب أن تبتعدى. لا أريد أحداً بجوارى.

سألته الفتاة: هل تعيش وحدك هنا؟

قال لها الصبى: لا. معى بندقية وطائرة مروحية وهما عائلتى. وقريبًا سيكون لدى إنسان آلىّ ضخم.

سألته الفتاة: ألا يوجد معك كائن حى؟

قال الصبى: كان من الممكن أن يكون لدى كلب ظريف، ولكن لو حدث أن أحداً قتله سأبكى عليه، أو أموت حزنًا.

فقالت الفتاة: أنا مثلك أيضًا فقدت عائلتى ومن الممكن أن نبقى معًا. ما رأيك؟

قال لها الصبى محتداً: لا أريد أن أبقى مع أحد من الممكن أن تصيبه بندقية.

فقالت له الفتاة ضاحكة: فى هذه الحالة لابد أن تبحث عن شخص لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه.

وتركته وحده وذهبت إلى حال سبيلها. ومضت الأيام والصبى يصنع الإنسان الآلى الضخم حتى فرغ منه ثم ثبت فوق رأسه مفتاح القيادة.

وقف الصبى بداخل الإنسان الآلى، وبدأ يسير به مخترقًا طرقات المدينة.

وأينما يذهب يصرخ الناس خوفًا حين يرونه ويبتعدون مسرعين ولكنهم كانوا لا يستطيعون الهرب من الصوت المرعب الذى يحدثه.

فقد وضع الصبى فى كابينة القيادة مكبراً للصوت. وكان كلما تكلم يخرج من فم الإنسان الآلى صوت غليظ كالزئير. ويصرخ الصبى فى الميكروفون بأعلى صوته، ويقول: هل يوجد هنا أحد لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه؟

وفى كل مكان يمشى فيه الإنسان الآلى يفر الناس منه هاربين ولم يستطع الصبى أن يجد الشخص الذى لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه.

وفى يوم من الأيام وبينما كان يسير بالإنسان الآلى لمح شخصًا يقف تحت قدميه ولم يفرّ هربًا منه، ولكنه بقى مكانه يصيح بكلمات والصبى من مكانه المرتفع لا يسمع ما يقوله هذا الشخص، قال الصبى لنفسه:"ربما يكون هذا الشخص من أبحث عنه، من لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه".

خرج الصبى من داخل الإنسان الآلى يستطلع الأمر. وعندما وقف على الأرض لم يكن هناك سوى السيدة العجوز، تلك المرأة التى أعطته طعامًا حين مرَّ بكوخها وكان جائعًا.

فسألها الصبى: هل تريدين أن تقولى لى شيئًا؟

قالت السيدة العجوز: نعم. لقد سمعت عن شخص لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه. ورأيت أننى يجب أن أقول لك.

فسألها الصبى: ومن هذا الشخص؟

قالت العجوز: إنه رجل كبير السن يعيش فوق سطح القمر.

قال الصبى: إذن يجب أن أبحث عنه لأننى لا أريد أن أبقى مع أحد يمكن أن تصيبه بندقية.

فقام الصبى ووضع رافعة حول الإنسان الآلى، فتحول الإنسان الآلى إلى صاروخ آلى وطار به نحو القمر.

هبط الصبى فوق القمر وأخذ يبحث طويلا حتى وجد فى النهاية شيخًا يجلس خلف تلسكوب كبير ينظر من خلاله إلى أسفل على الكواكب الأخرى.

سأل الصبى الشيخ: هل أنت ذلك الشخص الذى لا تستطيع طلقة بندقية أن تصيبه؟

قال الشيخ: أعتقد هذا.

سأله الصبى: وماذا ترى من خلال هذا التلسكوب؟

قال الشيخ: أراقب ناس الكواكب الأخرى.

سأل الصبى: هل يمكن أن أبقى معك؟

فأجاب: نعم، ممكن ولكن لماذا تريد أن تبقى معى؟

قال الصبى: لأننى لا أريد أن أبقى مع أحد يمكن أن تصيبه بندقية. ولقد سألتك إن كانت طلقة البندقية يمكن أن تصيبك أم لا؟ فقلت: لا. إذن أنت الشخص الذى أبحث عنه.

قال الرجل: ولماذا تبحث عن هذا الشخص؟

قال الصبى: إن لذلك قصة طويلة. فعندما مات والداى ذرفت الكثير من الدمع حتى لم يبقَ فى عينى دموع. وكان

يمكن أن يكون لدى كلب أليف ولكن إن قتله أحد، سأبكى حزنًا عليه. وكان من الممكن أن أبقى مع سيدة عجوز أكرمتنى وأعطتنى طعامًا من عندها، وكان من الممكن أن أكون صديقًا لفتاة جميلة أرادت أن نصبح أصدقاء. ولكن كل هؤلاء ليست لديهم وقاية ضد طلقات البنادق، وإذا أصيبوا بطلقة بندقية، سأموت أنا أيضًا من فرط حزنى عليهم.

قال الشيخ للصبى: لقد فهمت الآن كل شىء. حسنًا. من الممكن أن تبقى معى. فأنا لا يستطيع أحد أن يصيبنى بطلقة بندقية لأنه لا توجد هنا بنادق.

فقال الصبى: هل من أجل هذا السبب لا تصيبك بندقية؟

أجاب الرجل قائلا: نعم. لهذا السبب فقط.

فقال الصبى: ولكنى أحضرت معى بندقيتى.

قال الشيخ: يا للأسف الآن لن تستطيع أن تبقى معى.

ثم أكمل: فالبندقية التى معك من الممكن أن تصيبنى.

قال الصبى: هذا يعنى أننى يجب أن أذهب من هنا.

قال الرجل: نعم.

ردّ الصبى قائلا: يا للأسف.

سأله الرجل: هل تشعر بالحزن؟

أجاب الصبى: نعم. أشعر بالحزن. فكم وددت أن أبقى هنا فى هذا الكوكب الجميل البعيد عن الحروب والأخطار.

قال الشيخ للصبى: تستطيع أن تفعل ذلك لو تخلصت من بندقيتك وألقيتها بعيداً.

سرح الصبى فيما قاله الرجل وردد قائلا: نعم، هذا ممكن. وماذا يمكن أن أفعل هنا إذا بقيت معك؟

قال الشيخ: يمكن أن تنظر معى من خلال هذا المنظار إلى الكواكب الأخرى ثم تفهم لماذا هناك حروب بين البشر؟

فسأله الصبى: ولكن حقّا لماذا يشعل الناس الحروب؟

أجاب الرجل قائلا: أنا لا أعرف تمامًا لماذا تندلع الحروب، لكن من الجائز أن البشر لا يفهمون بعضهم بعضًا بدرجة كافية. ربما لأنهم أصبحوا كثيرين وحياتهم أصبحت معقدة وتملّكهم الطمع حتى إنه ليس هناك من يقدر نتائج أفعاله، ربما لأنهم لا يعلمون من أين تأتى اللحوم التى يأكلونها فى بطونهم وأين يذهب الخبز الذى يخبزونه، ربما لأنهم لا يعرفون إذا كان الحديد الذى يستخرجونه من باطن الأرض سيصنعون منه حفاراً يحفر الطرق أم سيصنعون منه القنابل، ربما لأنهم لا يعرفون أن بعضهم يأكل طعام البعض الآخر.

وهنا قال الصبى للرجل: إذن لابد لأحد أن يرشدهم، ويكشف لهم الحقيقة.

قال الرجل: من الجائز أن يكون هذا هو الحل، ولكنى كما ترى أصبحت شيخًا متقدمًا فى العمر وضعفت صحتى ولا أستطيع أن أقوم بهذا العمل.

وهنا ألقى الصبى بندقيته بعيداً فرآها تسقط فى الفضاء الواسع وتتحطم فوق أحد الكواكب، ثم صاح قائلا: أستطيع أن أفعل ذلك فى يوم من الأيام.

وعاش الصبى زمنًا طويلا مع الشيخ فوق كوكب القمر يتعلم وينظر إلى أسفل نحو الكواكب الأخرى من خلال التلسكوب ويدرس أحوال الناس الذين يعيشون فوقها.

وربما يكون فى يوم من الأيام قد طار إلى كوكب من تلك الكواكب ليرشد الناس إلى الصواب ويجعلهم يرون الأخطاء التى يرتكبونها فى حق بعضهم البعض.

ما حدث فوق كوكب الجزر

فوق كوكب صغير جداً كان يعيش جماعة من النشطاء وجماعة أخرى من الكسالى. وإذا كان هذا الأمر يمكن أن يحدث فى كل زمان ومكان، فالجديد فى هذا الكوكب أن الكسالى والنشطاء كانت لديهم عادة عجيبة.

كانوا يعيشون على زراعة الجزر ويجمعون ما يزرعونه من أصناف الجزر المتنوعة فى كومة كبيرة فى حقل كبير مشترك يأكلون منه جميعًا.

وذات يوم قالت جماعة من النشطاء: يكفى هذا. إننا نكد ونتعب وحدنا ثم يأتى الآخرون الكسالى المستلقون فى الشمس على ظهورهم طوال اليوم ويشاركوننا محصولنا من الجزر. وبدأت هذه الجماعة تحتفظ بمحصولها من الجزر داخل حقولها الخاصة، تأكل منه وحدها ولا تلقيه فى الحقل الكبير المشترك.

أما الكسالى فقد هزوا أكتافهم كأنما لا يعنيهم شيئًا واستمروا فى التردد على الحقل الكبير ليحصلوا على طعامهم.

ثم فكرت جماعة أخرى من النشطاء وقالت: نريد أن نحتفظ بالجزر الذى نزرعه لأنفسنا لأنه نتيجة مجهودنا وحدنا.

على حين قالت جماعة أخرى بعد تفكير طويل: علينا أن نفعل نحن أيضًا مثلهم.

ومع مرور الوقت أصبح كل واحد يحتفظ بمحصوله من الجزر أمام كوخه. وعندما كان يرغب فى صنف آخر من الجزر لا يزرعه فى حقله، يسرع ويستبدله من حقل شخص آخر.

وبدأ الناس يروحون ويجيئون. يقفون ساعات طويلة بعد العمل يتبادلون أصناف الجزر فيما بينهم حتى يحصل كل واحد على الصنف الذى يرغب فيه أو يحتاجه.

وقال الكسالى الناعسون فيما بينهم: ماذا حدث؟ إن هذه العادات لم نكن نألفها من قبل. الآن لا يوجد حقل كبير مشترك نتطفل عليه.

وبدأ كل واحد فيهم يفكر بأسلوب جديد. فهناك من فكر فى أن يعمل ويزرع الجزر. ولكن ذلك لم يكن أمراً سهلا. فعندما كان يختار حقلا ليزرع فيه جزراً، كان يظهر له صاحب الحقل وينهره ويطرده بعيداً عن حقله.

ولجأ البعض الآخر من الكسالى إلى السطو على حقول أغنياء النشطاء وأخذ ما يحلو لهم من أصناف الجزر. وكانوا يبررون ذلك قائلين: إننا كنا دائمًا نأخذ ما نحتاجه من الجزر من

الحقل الكبير المشترك، وإذا كان الحال الآن وجود أكثر من حقل، فلنعتبرها كلها حقولا مشتركة ولنأخذ ما نستطيعه منها.

وبالطبع انزعج الأغنياء من أفعال الكسالى. فبدأ بعضهم فى بناء أسوار حول حقولهم المزروعة بالجزر. وسرعان ما فعل الجميع نفس الشىء عندما وجدوا أن الكسالى لا يزالون يتمسكون بالعادة القديمة ويستبيحون أخذ الجزر من الحقول التى ليس لها أسوار.

ولم يمض وقت طويل حتى بنى كل شخص سوراً حول حقله المزروع بالجزر. وكانوا يتبادلون أصناف الجزر مع بعضهم البعض ويمارسون أعمالا أخرى لم يقوموا بها من قبل، مثل: مراقبة محاصيلهم وحراستها وتحصينها ضد السرقة وإصلاح وصيانة أسوارهم حتى لا يتسلقها أحد.

وبدأ البعض فى التذمر والاحتجاج قائلين: قديماً كنا نجتمع فى مودة بعد العمل فى الحقل الكبير المشترك، وكنا نطلق النكات ونحكى الحكايات ونلعب ألعاب القفز. أما اليوم فنسرع إلى بيوتنا ونلبد فيها ونحرس الجزر ونصلح الأسوار. وفى الصباح نكون منهكين ولا نستطيع زراعة الجزر بمهارة. اليوم لدينا مهام كثيرة عن الأمس لكن محصول الجزر لا يزيد.

وهنا اقترح البعض العودة إلى العادة القديمة، حيث الحقل الكبير المشترك، وقالوا مبررين ذلك: إن إطعام بعض المتطفلين الكسالى أفضل من أن نرهق أنفسنا دومًا بأمور المراقبة والاستبدال وحراسة المحاصيل وصيانة الأسوار.

أما الأثرياء من النشطاء فقد كانت لديهم وجهة نظر أخرى إذ قالوا: إن العودة إلى العادة القديمة تعنى السماح بمبدأ التطفل، وهذا يجعل الكل يتواكل ويتكاسل ولا يرغب فى زراعة الجزر بجدية وسوف يؤدى ذلك إلى أن نموت كلنا من الجوع.

وردّ عليهم المدافعون عن العادة القديمة قائلين: إن الأمر ليس كما تتصورون. فالتكاسل والاستلقاء طوال اليوم فى الشمس بدون عمل شيء ممل، صدقونا. إن الكسالى فوق هذا الكوكب ليسوا كثيرين، وزراعة الجزر بالفعل شيء مسلٍ.

وتمسك الأثرياء بموقفهم قائلين: لا. إن زراعة الجزر ليست من قبيل التسلية. إنه شيء يحتاج إلى مجهود. تستطيعون إن شئتم أن تتقاسموا مع الكسالى محصولكم من الجزر، أما نحن فلن نزيل أسوارنا.

ويبدو أن الطبقة المتوسطة من النشطاء تأثرت أيضًا برأى الأغنياء منهم، وقالت: إذا كان الأثرياء الذين لديهم الكثير لا

يريدون العودة إلى العادة القديمة، فما بالنا ونحن لا نحتكم على الكثير. إننا نفضل أيضًا ألا نعود إلى العادة القديمة.

وقال الفقراء منهم: لم يبق إلا نحن لنجعل حقولنا مفتوحة أمام الكسالى ليتقاسموها معنا. لكننا لن نرضى بذلك لأن نصيبنا سيصبح قليلا جدًا ولن نقدر على الاستمرار فى هذا الوضع. سنضطر نحن أيضًا إلى أن نحتفظ بأسوارنا.

وعندئذ أغلق كل واحد فمه. والحقيقة أن معظمهم أدرك أن محصول الجزر لن يزيد ويتكاثر ربما لأن أعباءهم تكاثرت. ومع ذلك لم يكن فى مقدورهم العودة إلى العادة القديمة مرة ثانية.

وفى أثناء ذلك ظهرت اتفاقات جديدة. ذهب البعض من أصحاب الحقول الصغيرة إلى البعض الآخر من الأغنياء أصحاب الحقول الكبيرة، وقالوا لهم: أنصتوا إلينا. إذا أعطيتمونا كل يوم حفنة جزر، سنقوم بحراسة محاصيلكم.

وجاء آخرون بفكرة أخرى وقالوا: سوف نقوم بإصلاح أسواركم فى مقابل أن تعطونا جزراً.

وآخرون أخذوا يتنقلون من بيت إلى بيت قائلين: سوف نقوم عنكم بمهمة تبادل أصناف الجزر فى مقابل أن نحتفظ بجزرة واحدة من كل خمس جزرات نستبدلها لكم.

ومضت الأمور هكذا لفترة حتى تنبه البعض مرة أخرى وقال: المفروض أن يكون لدينا الآن وقت أكبر للراحة. لكن للأسف علينا أن نستنفد كل الوقت فى زراعة الكثير من الجزر حتى نستطيع أن ندفع أجور من يقومون بإصلاح الأسوار وأجور من يقومون باستبدال أصناف الجزر لنا وأجور من يحرسون المحصول منعًا للسرقة.

ومرة أخرى نادت أصوات بإزالة الأسوار والعودة مرة أخرى إلى العادة القديمة. ولكن من العجيب أن الذين أصبحوا يعارضون تلك الفكرة لم يكونوا أغنى الأغنياء ولكنهم كانوا أفقر الفقراء.

فقد صاح الذين يقومون بإصلاح الأسوار: إنكم بذلك تريدون أن تسلبونا أعمالنا.

وصاح حراس الليل: من أين نعيش إذا لم نعمل بالحراسة؟

وصاح الذين يستبدلون الجزر: هل يرضيكم أن نموت جوعًا إذا لم نجد ما نستبدله؟

وزادت حيرة الجميع.

وبقيت الأمور كما هى، واستقرت العادة الجديدة.

الخـوف

ترى لماذا ينظر إلىّ هذا الصبى فى ريبـة؟
هل يخاف منى؟ ثم لماذا يشعر بالخوف منى؟
أيعتقد أننى سوف ألحق به الأذى؟
لكن لماذا يعتقد أننى سألحق به الأذى؟
إننى لا أؤذى أحداً.
إننى لا أؤذى أحداً إلا من يريد أن يصيبنى بأذى.

حسنًا. إذا كان يعتقد أننى سأصيبه بأذى.
فلابد أنه يعلم أننى أؤذى كل من يصيبنى بأذى.
لكنى أعتقد أنه يريد أن يؤذينى.

من الأفضل إذن أن أقترب منه وأسدد له لكمة فى وجهه.
آه.. أه
كانت قبضته أسرع من قبضتى.
هأنذا ملقى فوق الأرض.
لقد كنت على حق حينما توقعت أنه يريد أن يصيبنى بأذى!

الخوف مرة أخرى

نحن بلد مسالم
لا نهاجم أحداً إلا إذا بدأنا بالهجوم.

فإن لم يكن فى نية أحد أن يهاجمنا.
فليس هناك سبب لأن يخاف منا.

ومن يحاول أن يسلح نفسه ويتحصن.
فهو يبرهن أنه يخشانا.
وأن فى نيته الهجوم علينا.

إذن نفهم من هذا
أن علينا أن نبادر بالهجوم
على كل من يسلح نفسه،
ويقيم التحصينات الدفاعية فى مواجهتنا!

الناس العجيبة فوق كوكب هورتوس

كان يعيش فوق سطح كوكب هورتوس أربع جماعات فى أربع قرى صغيرة، هى: قرية التفاح، وقرية البرقوق، وقرية الكمثرى، وقرية التوت.

كان أهل قرية التفاح يعيشون على شراب التفاح، ومربى التفاح، وفطائر التفاح، والتفاح المطبوخ بالسكر.

وكان أهل قرية البرقوق يعيشون على عصير البرقوق، ومربى البرقوق، وفطائر البرقوق، والبرقوق المطبوخ بالسكر.

وبالمثل كان يعيش أهل قرية الكمثرى وأهل قرية التوت.

واستمر الحال هكذا فترة طويلة دون مشاكل حتى جاء يوم سئم فيه أهل قرية الكمثرى من أكل الكمثرى فقط، وقال واحد منهم: ما رأيكم لو فعلنا مثل العصابات؟

فسأله أحدهم: عصابات؟ كيف؟

قال: إنه أمر بسيط للغاية. سوف نتسلل ليلا، ونزحف على قرية البرقوق وننقض على أهلها ونُوسِعهم ضربًا، ونأخذ ما نقدر على حمله من البرقوق ونفر هاربين. وحينئذ نذوق شراب البرقوق ومربى البرقوق وفطائر البرقوق والبرقوق المطبوخ بالسكر.

ردّوا عليه قائلين: أحسنت. إنها لعبة مسلية حقًا.

وعندما جاء الليل تسللت جماعة الكمثرى حتى وصلت إلى قرية البرقوق وبينما الكل نيام دخلوا البيوت وانقضوا على أهلها وأخذوا ما يستطيعون حمله من برقوق وعادوا به إلى بيوتهم.

فزع سكان قرية البرقوق وانزعجوا وتساءلوا فيما بينهم: ما هذا الذى حدث؟ لم نر شيئًا مثل هذا من قبل. ربما أصاب أهل قرية الكمثرى لوثة عقلية فأصبحوا مجانين. يجب أن نرسل لهم السيدة خوخة الطبيبة.

وكانت خوخة طبيبةً عجوزاً تعرف كيف تصنع الزيوت الشافية من نوى البرقوق فتعالج جميع الأمراض. أخذت السيدة خوخة طريقها إلى أهل قرية الكمثرى حاملة قدراً مملوءا بزيوت البرقوق الشافية. وعندما عادت فى المساء قالت لجماعتها: إنهم لا يريدون العلاج وهددونى وأمرونى بالعودة.

قال أحدهم: هذا شىء خطير. ماذا نحن فاعلون الآن؟

ردّ عليه آخر قائلا: إذا كانوا يرفضون العلاج، فمعنى هذا أنهم ليسوا مرضى بل إن طباعهم خبيثة ولابد من معاقبتهم.

وصاح البعض: نعم. هيا بنا ننقض عليهم ونسطو على ما لديهم من كمثرى وهكذا يكون العدل.

وهنا صاحوا كلهم مهللين لهذا القرار ماعدا السيدة خوخة التى هزَّت رأسها فى اعتراض صامت.

وبالفعل اتجهت جماعة من أهل قرية البرقوق عازمين الحرب على أهل قرية الكمثرى، وأغاروا عليهم ليلا واعتدوا عليهم بالضرب ثم أخذوا الكثير مما يمكن حمله من الكمثرى وعادوا إلى بيوتهم منتصرين.

بعد عودتهم سألتهم السيدة خوخة: وماذا أنتم فاعلون إذا بادروا فى الغد وهجموا عليكم مرة أخرى؟

نظر أهل قرية البرقوق إلى بعضهم البعض فى قلق، وانبرى الشاب نوى من بينهم قائلا: سنقوم بوضع حراسة ليلية حول القرية ونزوّد الحراس بعصى طويلة قوية حتى إذا قدموا عليهم مهاجمين تصدوا لهم وأوسعوهم ضربًا.

وكان هذا بالفعل ما حدث. فعندما عادت جماعة الكمثرى للهجوم مرة أخرى على جماعة البرقوق انهال عليهم الحراس بالضرب وأجبروهم على العودة.

وهنا قال السيد نوى فخوراً بنفسه: ألم أقل لكم؟ لقد استطعنا أن ننال منهم بطريقة منظمة ومدبرة. لن يجرؤوا بعد الآن على الاعتداء علينا مرة أخرى.

لكن الرجال من أهل قرية البرقوق الذين قاموا بالحراسة كان لديهم ما يقلقهم.

قالوا: هذا كله كلام مفهوم. ولكننا من أجل قيامنا بالحراسة لم ننم ليلة واحدة منذ أسبوعين، وبالطبع لم نعمل واستهلكنا كل ما لدينا من كعك البرقوق ومربى البرقوق ولم يكن لدينا وقت لصنع طعام جديد.

وردّ عليهم السيد نوى قائلا: لقد قمتم بالحراسة من أجلنا جميعًا ولابد أن يعطيكم الجميع شيئًا مما لديهم.

وأعطى المواطنون من أهل البرقوق بعضًا مما لديهم للحراس. أما السيد نوى فقد أخذ النصيب الأعظم حيث قال لهم: أنا الذى فكرت، وأنا الذى أتحمل المسئولية وأهتم بالأمور ومجرياتها لهذا من حقى أن آخذ النصيب الأكبر.

وبعد وقت قليل تذمر أهل البرقوق من أن كميات البرقوق تتناقص. فقد كان البرقوق يكفيهم كلهم قبل أن تتبدل الأمور هكذا. أما الآن فقد نقصت الأيدى العاملة وأصبح البرقوق لا يكفى الجميع، إذ كان على الرجال الشباب أن يهتموا بأمور الحراسة بدلا من اهتمامهم بزراعة أشجار البرقوق وإنتاج طعام مما تطرحه ثماره.

وقال السيد نوى رداً على هذا: ومن يكون السبب فى قيام شبابنا بأعمال الحراسة بدلا من العمل والإنتاج؟ إنهم أهل قرية الكمثرى الذين بدأوا بالعدوان، ولهذا يجب أن يدفعوا الثمن.

ثم قام بتعبئة رجاله وتقدم بهم نحو قرية الكمثرى ليسطو عليها مرة أخرى. وفوجىء بأن أهل قرية الكمثرى قد وضعوا أيضًا حراسة حول القرية، ونشأت معركة حامية فى منتصف الطريق بين القريتين، ولم تستطع جماعة البرقوق الثأر من جماعة الكمثرى.

فكر السيد نوى، وقال: لابد أن نصنع شباكًا نلقيها على الحراس فى قرية الكمثرى فنشل حركتهم، وبذلك ننتصر عليهم ونتمكن من السطو على ثمارهم. وبالفعل قام أهل قرية البرقوق بصناعة شباك وألقوها على الحراس ونجحت تلك الحيلة.

عاد السيد نوى برجاله سعيداً بالنصر. وكان كل واحد من رجاله يحمل جوالا مملوءا بثمار الكمثرى. أما السيد نوى فكان هو الآخر يحمل شيئًا ثقيلا. إنها المسئولية. فقد نصَّب نفسه القائد المسئول عن أمور القتال والحرب.

وقام السيد نوى بإلقاء جميع ثمار الكمثرى التى استولوا عليها فى حقل كبير يقع فى منتصف القرية، ثم أخذ يقسمها إلى

ثلاثة أكوام، وقال: هذا الكوم من نصيب سكان القرية ليأكل منه الجميع، والكوم الثانى من نصيب رجالى من الجنود لأنهم قاتلوا بشجاعة، والكوم الثالث من نصيبى أنا بما أننى أحمل مسئولية الجميع.

وقبل الجميع هذه القسمة، وصاحوا مبتهجين، وربتوا على كتف السيد نوى ماعدا السيدة خوخة التى هزَّت رأسها فى قلق وقالت: لو أن سكان قرية الكمثرى صنعوا أيضًا شباكًا يلقونها على جنودكم ليسطوا عليكم ماذا أنتم فاعلون؟

أجاب السيد نوى قائلا: لقد فكرت بالفعل فى ذلك. سنقوم ببناء جدار سميك حول القرية وبذلك لا يستطيع أحد من سكان قرية الكمثرى الهجوم علينا. وعلى الفور قام أهل قرية البرقوق ببناء سور ضخم حول القرية.

وأراد أهل قرية الكمثرى أن يتخلصوا من الهزيمة، وقاموا أيضًا ببناء أسوار ضخمة حول قريتهم بعدما بلغهم أن أهل قرية البرقوق قد فعلوا ذلك. ونسجوا شباكًا لاصطياد الحراس وصنعوا سلالم ليتسلقوا بها الجدار المبنى حول قرية البرقوق.

وفى ليلة من الليالى هاجموا قرية البرقوق بواسطة السلالم التى صنعوها وسطوا على ديارهم.

وعندما أفاق أهل قرية البرقوق على ما فعله أهل قرية الكمثرى قال السيد نوى: كفى إلى هذا الحد. يجب أن نلقن أهل الكمثرى الجبناء درسًا لا يفيقون منه أبداً.

وأمر السيد نوى جنوده ببناء برج عالٍ يتحرك على عجل لتحريكه حتى سور قرية الكمثرى ثم إطلاق قذائف نارية من فوقه على البيوت فى القرية.

وفى أثناء عمل ذلك كان أهل قرية الكمثرى يبنون مدفعية ضخمة تقذف حجارة ليهدموا بها سور قرية البرقوق.

وفى ليلة مظلمة خرج كل من جنود قرية البرقوق وجنود قرية الكمثرى، وكل منهما يريد قتال الآخر. وكانت ليلة ذات ظلام دامس وضباب كثيف، فزحف الجيشان ومراً كل منهما بجوار الآخر دون أن يشعر به.

وعندما شيد جنود قرية البرقوق البرج العالى أمام سور قرية الكمثرى، صعد السيد نوى فوقه وصاح بأعلى صوته: افتحوا جميع البوابات وقوموا بتسليم أنفسكم وإلا سوف نحرق قريتكم.

وفتح سكان القرية الأبواب. ولم يكن الجند بداخلها ليدافعوا عنها.

ونفس الشيء قام به جنود قرية الكمثرى إذ وضعوا المدفعية الضخمة أمام سور قرية البرقوق. ثم أحضر قائد الجند ورقة ودون فيها هذا التهديد:"من الأفضل لكم أن تستسلموا وإلا سنمطر قريتكم بوابل من الحجارة".

وقام القائد بطى الورقة وربطها بشريط حول حجر وقذف بها من فوق السور. واستجاب سكان قرية البرقوق وفتحوا الأبواب ولم يكن الجند بداخلها ليدافعوا عنها.

وعندما بادر كل فريق بالسطو على ثمار القرية التى دخلها وجد أن القريتين خاليتان من الطعام إلا من بعض قطرات المربى وبعض الكعك المجفف وقليل من الفطائر التى تعفنت.

قال أهل قرية الكمثرى لجنود قرية البرقوق: كما ترون لم يتبقَ لدينا شيء. لم يكن لدينا الوقت لنعتنى بالشجر والزرع وصنع الطعام، فقد ذهب كل مجهودنا للإعداد للحرب.

وقال أهل قرية البرقوق لجنود قرية الكمثرى: كما ترون لم يعد لدينا شيء. لم نجد الوقت للاعتناء بالشجر والزرع وصنع الطعام، فقد ذهب كل مجهودنا للإعداد للحرب.

قال قائد الجند من قرية الكمثرى: هذا هراء. وعاد أدراجه مع جنوده مرة أخرى.

وقال السيد نوى قائد جند قرية البرقوق: اللعنة عليكم. ومضى برجاله من حيث أتى.

ومع شروق الشمس تقابل الجيشان فى منتصف الطريق بين القريتين. كانا يستشيطان غضبًا وأخذا يكيلان لبعضهما اللكمات. ووقف القائدان فوق تل صغير ينظر كل منهما إلى الآخر والشرر يتطاير من أعينهما.

وبعد أن تعب كل فريق من كثرة الشجار، أمر القائدان جنودهما بالرحيل والعودة إلى الديار.

فى اليوم التالى نادى السيد نوى على أهل قريته، وقال لهم: الآن يجب أن نسرع إلى العمل ونخبز فى الحال كمية من كعك البرقوق لنؤمن طعامنا، وعلينا أن نكون أسرع من الآخرين حتى نستعد قبلهم للمعركة القادمة.

لكن السيدة خوخة قالت لهم: لا فائدة من هذا. لم يبقَ لدينا برقوق لنصنع منه طعامنا لأنه لم يعتَنِ بالأشجار أحدٌ، وقد ذبلت ثمار البرقوق على الأرض. ولم يتبقَ دقيق نصنع منه الكعك. ثم ماذا يعود علينا من السطو على بعضنا البعض؟ إذا كنا نريد أن يكون لكل واحد منا نصيب عادل من الطعام، فعلينا أن نعمل ولا نلتفت إلى الأمور الأخرى وإلى العدوان على الآخرين. ونفس

الشيء لابد أن يحدث مع أهل قرية الكمثرى. يجب أن نعقد صلحًا معهم.

واستراح السامعون لكلام السيدة خوخة واتفقوا معها فيما قالته فهم يريدون العيش فى سلام والعودة إلى الاهتمام بالأشجار وصنع الكعك والشراب من ثمار البرقوق كما كانوا يفعلون من قبل.

أما السيد نوى، فلم يعجبه هذا الكلام، فهو يرى أنه إذا خلت الدنيا من الحروب فلن يستطيع أن يأمر ويسيطر، ولن تكون هناك غنائم يستقطع منها النصيب الأكبر له.

ولمعت فكرة خبيثة فى عقل السيد نوى، فذهب سراً إلى أهل قرية التوت، وقال لهم: استمعوا لى. إن أهل قرية الكمثرى لم يعد لديهم طعام يكفيهم لأنهم استنفدوا كل مخزونهم فى الحرب، وهناك احتمال كبير أن يقوم أهل قرية الكمثرى فى المرة التالية بالسطو عليكم وسلب خيراتكم، فقد جاء دوركم.

هزَّ أهل قرية التوت رؤوسهم متعجبين وقالوا: لكننا لم نفعل لهم شيئًا حتى يهاجمونا.

قال لهم السيد نوى: هذا لا يهم. إنكم لا تعرفونهم مثلى. إنهم لصوص ينهبون الغير ويستولون على الغنائم بأية وسيلة.

قال أهل قرية التوت: إن هذا لشىء مفزع. ماذا نفعل الآن ونحن لا نفهم فى أمور الحرب.

أسرع السيد نوى قائلا: لا داعى للقلق. نحن لدينا دراية بأمور الحرب. ما رأيكم لو نقوم نحن بحمايتكم من أهل قرية الكمثرى فى مقابل أن تعطونا نصيبًا من ثمار التوت.

تنفس أهل قرية التوت بارتياح وأجابوا: حسنًا. ليس أمامنا خيار آخر.

وذهب السيد نوى بهذا الاقتراح إلى أهله فى قرية البرقوق، وقال لهم: إن أمامنا عامًا طويلا حتى موسم الحصاد القادم. من أين ستحصلون على طعامكم أثناء انتظاركم للحصاد؟ إذا عقدنا الصلح مع أهل قرية الكمثرى فمعنى هذا أننا سنجوع عامًا كاملا. ولكن إذا تحالفنا مع أهل قرية التوت لحمايتهم من أهل قرية الكمثرى، فسنحصل فى المقابل على ثمار التوت فوراً وهذا سيعيننا على العيش.

قال الشباب الذين اعتادوا على أمور القتال: نعم. هذا أفضل، على أية حال فقد أصبح القتال بالنسبة إلينا أمراً سهلا.

ووافق أيضًا باقى أهل القرية على الفكرة وقالوا: من منا يتحمل مجاعة سنة كاملة؟

لكن السيدة خوخة لم تكن مقتنعة وهزَّت رأسها فى قلق.

وفى أثناء ذلك فعل أهل قرية الكمثرى نفس الشىء. فقد تحالفوا مع أهل قرية التفاح لحمايتهم وصد أى عدوان عليهم، وفى المقابل يأخذون نصيبهم من التفاح.

وبدأت الأمور تدور دورتها من جديد. يبنى كل من أهل قرية التوت وأهل قرية التفاح الأسوار حول قريتهما. ينسجون الشباك، يبنون السلالم والأبراج، يصنعون القذائف، ويعطون نصف ثمارهم إلى من يحمونهم ويدافعون عنهم.

وعندما مر العام لم يبقَ على الكوكب طعام ولم يبقَ شىء يستحق السلب.

وهنا اجتمعت السيدة خوخة بجميع السيدات اللاتى يعشن فوق الكوكب من سكان القرى الأربع، وقالت لهن: إن الأمور لا يجب أن تستمر طويلا هكذا. القتال والسلب والنهب لا يجعل ثمار البرقوق والتوت والتفاح والكمثرى تنمو. إن الطعام يكاد يكفينا إذا قام كل واحد بعمله فحسب، فما بالكم إذا أصبح هناك سلب ونهب تتعرض له القرى الأربع؟ إن الشباك والأبراج والأسوار والقذائف والمدافع ليست أشياء تؤكل.

قالت السيدات جميعهن: هذا صحيح.

واصلت السيدة خوخة حديثها قائلة: إذن اطلبن من رجالكن أن يتحدوا جميعًا ويعودوا إلى زراعة وفلاحة البساتين من جديد، وإلا سوف نهلك جميعًا من الجوع.

قالت السيدات: حسنًا سنفعل.

ونجحت النساء في إقناع رجالهن. وهكذا تم عقد اتفاقية سلام وصلح بين القرى الأربع على كوكب هورتوس ومد الرجال أيديهم لبعضهم البعض، وقالوا: إن أمور الحرب لن تعود مرة أخرى، وعمَّ السلام على الكوكب.

وبعد ثلاثة أعوام أصبح هناك طعام يكفي الجميع. وكانت السيدة خوخة تتبادل أصناف الطعام مع سكان القرى الأخرى، فترسل لهم قدوراً مملوءة بمربى البرقوق.

وكانت السيدات في القرى الأخرى يرسلن أيضًا كعك التفاح وفطائر الكمثرى والتوت. وساد السلام فترة طويلة بينهم حتى وجد الناس متسعًا من الوقت للتفكير واختراع أشياء مفيدة. اخترع أحدهم آلة لقطف ثمار التفاح دون الحاجة إلى تسلق الشجر، وطوّر آخر زراعة ثمار التوت دون أشواك، وثالث قام باختراع جهاز يفصل نوى البرقوق عن الثمرة بطريقة سهلة، وقام رابع باختراع سكين لتقشير الكمثرى.

قالت السيدات: شيء رائع. الآن يستطيع كل واحد أن يعمل نصف اليوم فقط ولن يتأثر الإنتاج.

وفى يوم من الأيام وقف السيد نوى وخطب فى أهل قرية البرقوق وقال لهم:

لا يصح أن نعمل نصف اليوم فقط ونستلقى فى استرخاء فى النصف الآخر لمجرد أن العمل الآن من خلال جهاز فصل النوى قد سهل الأمور كثيراً. ماذا نحن فاعلون إذا نصب أهل قرية الكمثرى لنا فخًا جديداً ؟

لقد اخترع أهل قرية الكمثرى سكينًا خاصّا لتقشير الكمثرى وهذا يشكل خطراً علينا، لأنهم لن يضطروا أن يعملوا طوال الوقت حتى ينشغلوا بتأمين طعام كافٍ لهم، بل سيجدون الوقت الكافى لبناء أبراج وصناعة قذائف.

ولهذا لا يجب علينا أن نضيع النصف الآخر من الوقت فى سرد الحكايات واللعب. فباختراعنا آلة فصل النوى أصبح لدينا وقت للتفكير فى الإجراءات التى يجب أن نتخذها للدفاع عن أنفسنا ضد أى مخاطر. وبدلا من أن نعمل كلنا نصف اليوم، أقترح أن يعمل نصفنا فقط كل اليوم والنصف الآخر يتفرغ لصنع القذائف والتدرب عليها.

وعندئذ نستطيع أن نمتلك أدوات دفاع كاملة ويكون لدينا جيش جاهز فى أى وقت. وهذا ما سوف يحمينا من هجوم أهل قرية الكمثرى علينا مرة أخرى.

وهنا كان يبدو أن كل شيء سيبدأ من جديد وسوف تنتهى مرحلة السلام بين القرى. لولا أن وقفت السيدة خوخة بشجاعة ولكمت السيد نوى لكمةً قويةً فى عينيه فهوى على الأرض ولم يتفوه بكلمة بعدها.

المتحاربان

تعارك اثنان بعنف. أحدهما طويل والآخر بدين، أحدهما ضخم والآخر صلب، أحدهما عنيف والآخر شرس. حطم العنيف أنف الشرس، فقال فى نفسه:"إن لديه أنفًا مثل أنفى".

كسر الشرس ضلوع العنيف، فقال فى نفسه:"إن هذه الضلوع تطرقع مثل ضلوعى".

ضرب العنيف عين الشرس، فقال فى نفسه: "إن هذه العين رخوة ورقيقة مثل عينى".

ركل الشرس بطن العنيف، فقال فى نفسه:"إن هذه البطن لينة مثل بطنى".

أطبق العنيف على عنق الشرس، فقال فى نفسه:"إنه يحتاج إلى الهواء ليتنفس مثلى".

ضغط الشرس على قلب العنيف، فقال فى نفسه:"إن قلبه يدق مثل قلبى". سقط الاثنان على الأرض وعجزا عن النهوض وأدرك كل منهما أنهما متشابهان. قال كل واحد فى نفسه:"أنا مثل الآخر، والآخر مثلى". ولكن لم تنقذهما هذه الحقيقة. فقد عرفاها بعد فوات الأوان!

الحرب فوق كوكب المريخ

قامت حرب كبيرة فوق كوكب المريخ ثم توقفت. كانت الحرب بين بلد القرنفل وبلد البنفسج.

فى حزن وإرهاق شديد عاد القرنفليون إلى موطنهم فوق الكوكب وقالوا فى نبرة أليمة بعدما خسروا الحرب: لن تكون هناك حرب مرة أخرى.

فى حزن وإرهاق شديد أيضًا عاد البنفسجيون إلى موطنهم فوق الكوكب بعدما كسبوا الحرب وقالوا فى نبرة أليمة: لن تكون هناك حرب مرة أخرى.

امتلأت أرض المعركة بموتى كثيرين من البنفسجيين والقرنفليين، وكان عدد الموتى فى الفريقين متساويًا وغطت الأرض الدماء الخضراء السائلة بطريقة مرعبة.

وعلى ضفة نهر يقع على الحدود تقابل رئيس جمهورية القرنفل مع ملك مملكة البنفسج وعقدا اتفاقًا ينص على ألا تنشب حرب بينهما مرة أخرى وتعاهدا على ذلك.

واحتفل بمناسبة الصلح والسلام البلدان احتفالات كبرى. طالب القرنفليون بينما هم يحتفلون بهذه المناسبة أن يحيلوا

الجنرال قائد جيشهم إلى المعاش. وطالب البنفسجيون أيضًا فى أثناء احتفالهم بهذه المناسبة بتسريح المارشال قائد جيشهم.

واتفق القرنفليون على أن يعمل جنودهم فى زراعة الفراولة. واتفق البنفسجيون على أن يعمل جنودهم بحياكة الملابس.

لكن الجنرال قائد جيش القرنفل احتج قائلا: إن هذا قرار خاطئ فإذا لم يكن لدينا قائد جيش وجنود، سيهجم علينا البنفسجيون مرة أخرى. لابد أن نمتلك جيشًا قويّا متيقظًا لصد أى هجوم محتمل علينا.

فكر القرنفليون وقالوا: نعم، نعم، إنك على حقّ.

أما المارشال قائد جيش البنفسج فقد قال هو الآخر: إن هذا قرار خاطئ فإذا علم القرنفليون أننا بلا جيش فسوف يثأرون منا على الفور رداً على الهزيمة التى ألحقت بهم. وهذا يعنى أننا فى حاجة إلى جنود وقائد لنحمى أنفسنا.

فكر البنفسجيون وقالوا: هذا صحيح. هذا حقّ.

بعد انتهاء الحفل عاد رجال كل فريق إلى بيوتهم حائرين.

وجلس الجنرال قائد جيش القرنفل محدثًا نفسه قائلا: "لقد عانيت الكثير وصحيح أنا لا أتحمل حربًا مرة أخرى، لكنى إذا لم أظهر لهم أننى جنرال كفء وشجاع فسيحيلوننى إلى التقاعد،

وهذا ما لا أرضاه". ثم توجه إلى رئيس جمهورية القرنفل، وقال له: إن جيشنا فى حاجة إلى المزيد من السيوف حتى يدافع عن نفسه بكفاءة ويصد أى هجوم علينا مرة أخرى. أرجو من سيادتكم إصدار أوامركم بفرض المزيد من الضرائب حتى نستطيع أن نشترى سيوفًا من عند الحدادين.

استجاب الرئيس لكلام الجنرال وفرض المزيد من الضرائب على القرنفليين.

اجتمع أصحاب ورش الحدادة وأعلنوا: نحن لا نريد حربًا مرة أخرى، ولكن إذا بعنا الكثير من السيوف نستطيع عندئذ أن نلحق أبناءنا بأحسن المدارس.

وقال العمال الذين يعملون فى ورش الحدادة: نحن لا نريد حربًا مرة أخرى، ولكن إن امتنعنا عن صنع السيوف، سيقوم أصحاب العمل بطردنا ولن نستطيع توفير الطعام لأبنائنا.

هذا ما حدث فى بلد القرنفل.

أما ما حدث فى بلد البنفسج فقد قال المارشال قائد الجيش محدثًا نفسه: "لقد عانيت الكثير وأريد السلام، لكن إذا لم أظهر لهم أننى مارشال كفء وشجاع، فسيستغنون عنى فى الحال، وهذا ما لا أرضاه". ثم توجه إلى ملك البنفسج، ومال عليه

قائلا: لقد سمعت أن القرنفليين يشترون السيوف لجيشهم، وعلينا أن نفعل شيئًا. إننا فى حاجة إلى أفراد ينضمون إلى الجيش ليزداد عدد الجنود، ونستطيع صد أى هجوم علينا. وأرجو من فخامتكم إصدار أوامركم لرفع قيمة الضرائب حتى نستطيع الإنفاق على الجنود.

وافق الملك على كلام المارشال وارتفعت الضرائب على شعب البنفسج وانضم مزيد من الأفراد إلى الجيش.

أجمع المزارعون على أنهم يريدون السلام، ولكن إذا امتنعوا عن بيع ما يزرعونه من ثمار وخضراوات للجيش، فلن يستطيعوا أن يدفعوا الضرائب الباهظة التى فرضت عليهم.

وقال الخياطون: نريد السلام، ولكن كلما ازداد عدد الجنود فى الجيش زادت الطلبات على الملابس العسكرية وكثرت مبيعاتنا.

وقال صانعو الحراب: نحن نريد السلام ولكن كلما كثر عدد الجنود زاد الطلب على الحراب وكثرت مبيعاتنا منها.

ومرّت الأيام وكل فريق يحاول أن يحصن نفسه ضد الآخر. وفى يوم من الأيام اكتشف مخترع من بلد القرنفل سمّا ضاراً شديد الفتك ذا تأثير قاتل. قال المخترع لنفسه:"أنا لا أريد

إيذاء أحد، ولكنى إذا احتفظت لنفسى بسرٍّ هذا الاكتشاف فلن أستطيع توفير ثمن ما أشتريه من خبز ولبن". وهكذا قام فدّون فى كتاب كيفية تركيب هذا السم.

أما فى بلد البنفسج فقد تمكن باحث علمى من اكتشاف طريقة لصنع قنبلة تفنى كل شىء على ظهر الكوكب، وقال الباحث لنفسه:"أنا لا أريد أن أضرّ أحداً، ولكن يجب أن أعلن هذا الاكتشاف على الملأ حتى لا يظن الناس أننى لا أنتفع بعلمى". وقام فدّون فى كتاب كيفية صنع القنبلة.

وتوجه مارشال بلد البنفسج إلى الملك، وقال له: لابد لنا أن نسرع بصنع هذه القنبلة لأننى سمعت أن بلد القرنفل يعد سمّا فتاكًا يستطيع أن يبيدنا به.

وتوجه جنرال بلد القرنفل إلى رئيس الجمهورية، وقال له: لابد لنا أن نسرع بتركيب هذا السم القاتل لأننى سمعت أن بلد البنفسج يصنع قنبلة مدمرة تستطيع أن تهلكنا.

وهكذا صدرت الأوامر بتركيب السم الفتاك فى بلد القرنفل. وصدرت الأوامر بصنع القنبلة المدمرة فى بلد البنفسج.

وقام القرنفليون بتصنيع حقنة ضخمة عملاقة لإطلاق المادة السامة على البنفسجيين.

وقام البنفسجيون ببناء منطاد ضخم عملاق لحمل وإلقاء القنبلة المدمرة على القرنفليين.

وفى إحدى المناسبات الوطنية قال رئيس القرنفل: الآن لن يكون هناك حرب على الإطلاق. إننا ننشد السلام ولن يجرؤ البنفسجيون أبداً على مهاجمتنا لأننا نملك هذا السمَّ الفتاك.

وفى إحدى المناسبات العسكرية قال ملك البنفسج: الآن يجب أن يعمّ السلام. لا نريد الحرب ولن يجرؤ القرنفليون على الاعتداء علينا لأننا نملك تلك القنبلة المدمرة.

وفى يوم اكتشف الحدادون فى بلد القرنفل أن الحديد لديهم لا يكفى لصنع السيوف والعربات والمحاريث وآلة قص الحشيش. وقرروا أن يبحروا إلى جزيرة الحديد القريبة ليحصلوا على الحديد الذى يكفيهم.

وكذلك اكتشف الحدادون فى بلد البنفسج أن الحديد لديهم لا يكفى لصنع المزيد من الحراب والعربات والمحاريث وآلة قص الحشيش، وقرروا أن يبحروا إلى جزيرة الحديد ليحصلوا على الحديد الذى يحتاجونه.

وأرسل القرنفليون سفينة إلى جزيرة الحديد.

وكذلك أرسل البنفسجيون سفينة إلى جزيرة الحديد.

وعندما عادت السفن حكى البحارة كيف شاهدوا بعضهم بعضًا وكل منهم يأخذ ما يحتاجه من حديد فوق الجزيرة.

ونشرت جريدة من بلد القرنفل خبراً يقول: أهل البنفسج يستولون على الحديد من جزيرة الحديد ويستأثرون به لأنفسهم.

ونشرت جريدة تصدر فى بلد البنفسج خبراً يقول: أهل القرنفل يستحوذون على كل الحديد ويضعون أيديهم عليه.

وللأسف فإن الجرائد الأخرى التى نشرت الخبر بطريقة غير مبالغ فيها لم تجد من يقرأها سوى نفر قليل من الناس، لأن الناس بطبعهم يميلون دائمًا للأخبار المثيرة.

ومرة أخرى تملك القرنفليين الخوف من البنفسجيين وتوجس البنفسجيون شراً من القرنفليين.

وهنا قال القرنفليون: يجب أن تكون جزيرة الحديد ملكًا لنا حتى نضمن السلامة والسلام.

وقال البنفسجيون: لابد أن نمتلك جزيرة الحديد حتى نؤمن أنفسنا من ويلات الحرب مرة أخرى.

وأضاف القرنفليون قائلين: إذا لم يكن لدينا ما يكفى من حديد لصناعة المحاريث، فلن يكون لدينا طعام، ولن ينفعنا السمّ الفتاك الذى نمتلكه.

وبرر البنفسجيون دوافعهم قائلين: إذا لم يكن الحديد فى حوزتنا، لن نستطيع صناعة آلات الزراعة وسنموت جوعًا ولن تنفعنا تلك القنبلة المدمرة التى نمتلكها.

ووضحت نوايا الاستيلاء على ثروة الحديد لدى الطرفين.

فأرسل القرنفليون سفينة حربية لغزو جزيرة الحديد.

وأرسل البنفسجيون سفينة حربية لغزو جزيرة الحديد.

ودارت المعركة هناك ولم تحسم لصالح أى منهما.

وأرسل القرنفليون سفينة أخرى.

وأرسل البنفسجيون أيضًا سفينة أخرى.

وخطب الجنرال قائد جيش القرنفل فى حماس قائلا: لن نسمح للبنفسجيين بالاستيلاء على جزيرة الحديد وبناء السفن الحربية. ثم قام وجنوده بمهاجمة الترسانة البحرية للبنفسجيين.

وقال المارشال قائد جيش البنفسج فى حماس: يجب أن نمنع القرنفليين من الاستيلاء على جزيرة الحديد وبناء السفن الحربية. ثم قام وجنوده بمهاجمة الترسانة البحرية للقرنفليين.

صاح القرنفليون: لقد بدأونا بالعدوان.

وصاح البنفسجيون: لقد بدأونا بالعدوان.

وانبرى الجنرال قائد جيش القرنفل قائلا: لقد أردنا السلام

من البداية لكن فات الأوان وعلينا الآن أن نطلق عليهم السمَّ الفتاك قبل أن يلقوا علينا القنبلة المدمرة.

وقال المارشال قائد جيش البنفسج: نحن ضد الحرب من البداية ولكن فات الأوان. يجب أن نلقى عليهم القنبلة قبل أن يطلقوا علينا السمَّ الفتاك.

أحضر جيش القرنفل الحقنة الضخمة، وتم ملؤها بالسمِّ.

وأحضر جيش البنفسج المنطاد واستعد للانطلاق بالقنبلة.

وتوعد القرنفليون: إنها نهايتهم. سوف نقضى عليهم.

وتوعد البنفسجيون: إنها نهايتهم. سوف نقضى عليهم.

رأى القرنفليون المنطاد وهو يصعد ببطء فى اتجاههم فقالوا: إنها نهايتنا.

ورأى البنفسجيون الحقنة الضخمة وقد صوبت ناحيتهم فقالوا: إنها نهايتنا.

ظهر المخترع الذى اكتشف السمَّ وقد بدا على وجهه الفزع وقال لأهله: ربما كان يجب ألا أكتشف هذا السمَّ.

وظهر الباحث العلمى الذى اخترع القنبلة وقد بدا على وجهه الفزع، وقال لأهله: ربما كان يجب ألا أخترع هذه القنبلة.

وقال الحدادون: ربما كان يجب ألا نصنع السيوف.

وقال صانعو الرماح: ربما كان علينا ألا نصنع الرماح.

وقال الخياطون: ربما كان لا ينبغى علينا أن نخيط الملابس العسكرية.

وقال المزارعون: كان يجب أن نمنع الطعام عن الجنود.

وقال الصحفيون: ربما كان لا ينبغى علينا أن نبالغ فى كتابة الأخبار.

وقال الجنود: ربما كان يجب ألا نكون جنوداً.

وقال القرنفليون: ربما كان يجب أن نحيل الجنرال قائد جيشنا إلى التقاعد.

وقال البنفسجيون: ربما كان يجب أن نقوم بإنهاء خدمة المارشال قائد جيشنا.

وربما كان يجب أن تنتهى القصة هنا.

لولا أن اندفع شخص عاقل من أهل القرنفل وجمع أصدقاءه، وقال لهم: إن الخطر قادم نحونا ومن الصعب أن ننقذ أنفسنا الآن، ولكن ما ذنب البنفسجيين؟ فنحن لا نستطيع أن نلومهم على خبثهم ومكرهم لأننا سلكنا نفس سلوكهم.

وتسلق هو وأصدقاؤه الحقنة العملاقة وأحاطوا بها وقلبوها قبل أن يندفع السمُّ من فتحتها ليقتل البنفسجيين.

فى نفس الوقت تجمع بعض البنفسجيين العقلاء وقالوا: إن الموت يقترب منا وهذا كله بسبب غبائنا. ولكن ألا يمكن أن نبرهن للقرنفليين أن هناك على الأقل بعض البنفسجيين الذين يتحلون بالشهامة والكرم؟

وقاموا فتسلقوا الحبال حول المنطاد وأبطلوا مفعول القنبلة قبل أن تنفجر فى القرنفليين.

وعندما لاحظ القرنفليون أن القنبلة لم تنفجر فيهم، غمغموا فيما بينهم فى دهشة: إن البنفسجيين لم يفجروا القنبلة فينا.

وعندما لاحظ البنفسجيون أن السمَّ لم يصبهم همسوا لبعضهم فى دهشة: إن القرنفليين لم يطلقوا السمَّ علينا.

وكان المشهد مدهشًا حقّا، فقد ألقى الجميع السيوف والحراب من أيديهم وجلسوا على الأرض وتنهدوا من الأعماق، وقالوا: لقد سكتت الحرب مرة أخرى وسلمنا منها.

وأجهش الكثير منهم بالبكاء حين شعروا أن حملا ثقيلا قد انزاح، وأحال القرنفليون والبنفسجيون كلا من الجنرال والمارشال إلى التقاعد وجردوا الرئيس والملك من منصبهما ثم رفعوا أيديهم بتحية السلام وقالوا لبعضهم البعض: هذه المرة يجب أن نتعلم الدرس.

العبـد

كان هناك رجل يمتلك عبداً. وكان العبد يقوم بجميع شئون سيده. كان يغسل له جسده، ويمشط شعره، ويقطع الطعام قطعًا صغيرة ويضعها فى فمه، ويكتب له خطاباته ويمسح أحذيته وَيرْتَق جواربه، ويقطع الحطب ويشعل له المدفأة.

وحينما كان الرجل يخرج إلى النزهة بالقرب من ثمار التوت. كان على العبد أن يقطفها له ويدسها فى فمه.

وحتى لا يهرب العبد أوثقه الرجل فى سلسلة يقوده بها دائمًا. وهكذا كان الرجل والعبد متلازمين لا يفترقان. كان الرجل يقتاد عبده ليل نهار ويجرجره معه أينما ذهب حتى لا يترك له فرصة للهرب. وكان يحمل دائمًا سوطًا فى اليد الأخرى، فإذا تمرد العبد وجذب السلسلة انهال الرجل عليه بالسوط.

وكثيراً ما كان الرجل يشعر بألم فى يده، وينهكه جلد العبد بالسوط. فيسب ويلعن العبد والسوط وكل ما حوله.

وأحيانًا كان الرجل يختلس وقتًا قصيراً يتذكر فيه طفولته حينما كان صغيراً لا يمتلك عبداً. كان حينئذ يجوب الغابة حراً يقطف ثمار التوت دون قيود.

أما اليوم فإنه لا يستطيع حتى أن يقضى حاجته وحده. أولا لأن العبد يمكنه أن يهرب فى أثناء ذلك. وثانيًا لأنه لن يجد من يسكب عليه الماء لينظف نفسه، فهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا لأن يديه لا تتمتعان بالحرية.

وفى يوم أدرك أحد أصدقائه كم هو مهموم فقال له: يا صديقى. إذا كانت الأمور قد بلغت هذا الحد من السوء فلماذا لا تطلق سراح هذا العبد؟

أجاب الرجل: لقد فكرت فى ذلك فعلا. ولكنى أخشى لو أننى أطلقته أن يقتلنى.

وظل الرجل يحلم بينه وبين نفسه بيوم يستردّ فيه حريته وأمنه. ولكن هل يحلم العبد أيضًا بالحرية؟

إنه لا يحلم بالحرية منذ أمد طويل، بل كل حلمه أن يصير سيداً ويقيد هذا الرجل فى سلسلة ويسوقه ويجلده بالسياط ويدعه يسكب عليه الماء لينظف نفسه.

إن هذا بالتأكيد ما يحلم به العبد!

الحرب العجيبة

في زمن من الأزمان فوق أحد الكواكب العجيبة كانت هناك بلدان تربطهما حدود مشتركة. بلد منهما اسمه صاد والآخر اسمه سين. وكانت هناك بلدان أخرى قريبة وبعيدة بأسماء عجيبة. لكن ما يعنينا هنا هو ما حدث لصاد وسين.

فلنحكي حكايتهما. ذات يوم خرج القائد الأعلى في صاد وجمع أهل البلد وخطب فيهم خطبة طويلة. قال لهم: إننا ضقنا بقربنا من سين، فالحدود بيننا أصبحت متشابكة، ونشعر أن سين تحاصرنا وتلتصق بنا بشدة ونخشى أن تستولي على جزء من أرضنا ولن نصبر على هذا.

ثم أكمل كلامه وقال: إن السكان في سين قد اقتربوا كثيراً من حدودنا، وهذا يجعل المكان يضيق بنا ونصبح غير قادرين على الحركة والتنفس.

استرسل القائد الأعلى في التفكير ثم قال: يجب على سين أن تبتعد عن حدودنا ويجب على السكان في سين أن يتزحزحوا قليلا إلى الوراء، وإن لم يبتعدوا عن حدودنا، فسوف تكون مهمتنا أن نجبرهم على الابتعاد.

ثم ارتفع صوت القائد الأعلى قائلا: نحن لا نريد أية مشاكل. إننا شعب مسالم ولكن الويل لمن يقترب من حدودنا. إن الحرب شيء بغيض ولن نسمح للحرب بأن تقوم. لن نسمح بالتضحية بأفضل أبنائنا فتصبح نساؤنا أرامل وأطفالنا أيتامًا. ولكنى فكرت بأن نفعل شيئًا. فكرت بأن نضعف قوة البلد سين ونبادر بالهجوم عليها قبل أن يدفعونا إلى الحرب. ومن أجل هذا أيها المواطنون فإننى أعلن أمامكم رسميًا الحرب على سين من أجل الدفاع عن أنفسنا وإنقاذ أطفالنا وإرساء السلام.

نظر شعب صاد لبعضه البعض فى حيرة، ثم اتجه المواطنون ببصرهم إلى القائد الأعلى الذى كان فى قمة حماسه.

وسرعان ما رأوا قوات الحرس الخاص ينتشرون فى الميدان مرتدين الدروع الواقية ومتسلحين بالأسلحة المشعة والمدمرة. أصابهم هذا المشهد بالحماس فقاموا مهللين وصفقوا بإعجاب وصاحوا: يعيش القائد الأعلى للبلاد، ويسقط شعب سين!

وبدأت الحرب! فى نفس اليوم عبرت قوات صاد الحدود الفاصلة بينها وبين سين. كان المشهد مخيفًا. عربات مصفحة تبدو مثل تنانين حديدية ضخمة تدكّ كل شيء يعترض طريقها. ومن فوق العربات تنطلق قنابل من فوهات مدافع وغازات سامة

تنبعث لتقتل وتفنى كل شىء. تندفع العربات فتخلف الموت وراءها وتنشر الخراب فى الغابات التى كانت مزدهرة.

طائرات بالآلاف تملأ السماء فتحجب ضوء النهار ويرتعد خوفًا كل من يمشى أو يقف فينكب واقعًا على وجهه من تأثير الضجيج المفزع. يفترش ظلال الطائرات العملاقة الأرض وتسقط القنابل. وما بين الطائرات العملاقة فى السماء والعربات المصفحة فوق الأرض كانت هناك أسراب من الطائرات الهليوكوبتر تطن وتزن مثل الناموس الغاضب.

أما الجنود فكانوا مثل الريبوتات فى زيهم الفولاذى الذى يقيهم من القنابل والطلقات والغازات السامة والجراثيم، ويحملون فى أيديهم أدوات قتال ثقيلة الحجم لإطلاق القذائف وأشعة الليزر لصهر أى شىء.

وهكذا تقدمت القوات التى لا تُقهر قوات بلد صاد البلد المحارب، لقتال بلد سين بلد العدو، وإبادة شعبها دون رحمة.

ولكن من العجيب أنهم لم يجدوا أية مقاومة أمامهم لم يجدوا هذا العدو، ففى اليوم الأول دخلت القوات مسافة عشرة كيلومترات فى أرض الأعداء. وفى اليوم الثانى عشرين كيلو متراً. وفى اليوم الثالث عبرت القوات النهر الكبير. وكلما

تقدمت القوات وتوغلت فى البلد لا تجد حولها سوى قرى مهجورة وحقول جرداء ومصانع خالية.

زمجر القائد الأعلى فى غيظ، وقال لجنوده: أين جنود هذا البلد؟ لعلهم يختبئون حتى إذا مررنا من أمامهم يهجمون علينا من الخلف. ابحثوا عنهم فى كل ركن وجحر حتى فى أكوام القمامة وكونوا على حذر.

فتش الجنود فى كل مكان وقلبوا أكوام القمامة، ولكنهم لم يجدوا أثراً لجندى واحد. وكل ما عثروا عليه كان تلالا من الأوراق الشخصية: بطاقات شخصية، شهادات ميلاد، جوازات سفر، شهادات تطعيم، بطاقات صحية، بطاقات تأمين، شهادات دراسية، إيصالات، وغيرها من الأوراق. وكانت الصور الشخصية للأفراد منزوعة من جميع البطاقات والشهادات.

أصابت الجنود حيرة شديدة ولم يستطع أحد منهم تفسير ما يراه. ثم ظهرت مشكلة أخرى كبيرة واجهت قوات وجنود صاد وهى علامات الطرق، إذ كان الكثير منها إما منزوعًا من أماكنه أو مقلوبًا مشيراً إلى الاتجاه المعاكس أو مدهونًا بطلاء سميك غطّى على الأحرف والإشارات. والغريب أن بعض العلامات كانت صحيحة، فلم يستطع جنود صاد التمييز بين العلامات

الصحيحة والعلامات غير الصحيحة مما أدى إلى تضليلهم. فكانت فرقًا بأكملها تتوه. ودوريات من الجند تتخبط فى جميع الاتجاهات. وكتائب تهيم فى الطرقات لا تدرى من أين انطلقت وإلى أين تذهب. وقد يحدث كثيراً أن يفقد قائد فرقة أو دورية جنوده، فيلعن حظَّه ويرسل جنوداً آخرين فوق دراجات بخارية للبحث عن المفقودين فى كل مكان.

وأمام هذا كله اضطر القائد الأعلى أن يرسل لاستدعاء جميع مهندسى المساحة وعلماء الجغرافيا من صاد ليحضروا إلى سين ويحددوا معالم الطرق فيها ويضعوا اللافتات على الشوارع من جديد.

فى اليوم الرابع من الغزو أمسكت قوات الجيش المحتل بأول أسير. لم يكن هذا الأسير جنديًا، كان شخصًا مدنيًا وجده الجنود فى الغابة يحمل على ذراعه سلة بها عيش الغراب. أمر القائد الأعلى باستدعائه لكى يستجوبه بنفسه. قال الأسير إن اسمه: هانس مولر وإنه يعمل فى جمع عيش الغراب من الغابة.

سأله القائد عن بطاقته الشخصية، فأجاب الأسير بأنها فقدت منه، ثم سأله عن جنود وقوات سين ولماذا لا يرى أثراً لهم؟ أجاب الأسير بأنه لا علم لديه بأى شىء.

فى الأيام التالية قبض جيش صاد على عدد كبير من المدنيين رجالاً ونساءً. وعندما سألوهم عن أسمائهم أجابوا بأنهم جميعًا يسمون: هانس مولر أو ليزا مولر، ولا أحد منهم يحمل بطاقة شخصية. وجن جنون القائد الأعلى.

بعد فترة استولت قوات صاد على أول مدينة كبيرة فى سين. وسرعان ما قام الجنود بكتابة أسماء الشوارع بالفرشاة على حوائط المدينة بعد أن استطاعوا الاستيلاء على خرائط الطرق من مبنى المخابرات العامة. وقد تسببت السرعة التى أنجزوا بها العمل فى أخطاء كثيرة، فاسم الشارع فى أوله ليس هو نفس اسمه فى آخره. والاسم المكتوب على يافطة فى الجانب الأيمن من الشارع غير مطابق للاسم على اليافطة فى الجانب الأيسر منه. وعمت الفوضى وساد الارتباك صفوف الجنود وضلّت خطواتهم فى طرقات المدينة وعلى رأسهم قائدهم الذى أخذ يسب ويلعن وهو يقبض على خريطة فى يده.

واكتشف الجيش المحتل أن لا شيء يعمل فى هذه المدينة. وأن كل شيء معطل: محطة توليد الكهرباء لا تعمل، ومحطة الغاز لا تعمل، وجميع خطوط التليفون معطلة لأن هيئة الاتصالات لا تعمل. وكل المصالح والهيئات توقفت عن العمل.

أمر القائد الأعلى فى نبرة صارمة جميع المواطنين فى سين بالتوجه فوراً إلى أعمالهم وحظر عليهم الإضراب عن العمل، فامتثل المواطنون وذهبوا إلى أعمالهم فى المصانع والشركات، ومع ذلك بقى الحال كما هو عليه، وعندما تأتى القوات لاستطلاع الأمر وتسأل المواطنين عن السبب، يكون ردّهم: إن رئيس الشركة غير موجود ولم يصدر توجيهاته، أو يقولون: إن رئيس العمال غير موجود ولم يوضح ما نفعل، أو أن السيدة المديرة غير موجودة ولم تكلفنا بشىء.

وأرادت القوات المحتلة البحث عن رئيس الشركة ورئيس العمال والسيدة المديرة، ولكن كيف لهم أن يجدوهم والمواطنون فى البلدة أسماؤهم واحدة، الذكور يسمون هانس والإناث يسمون ليزا ولا يوجد لدى أحد منهم بطاقة شخصية. وهنا أصدر القائد الأعلى تهديده بإطلاق النار على كل مواطن لا يدلى باسمه ولقبه الحقيقى. فأطلق المواطنون على أنفسهم اسمًا آخر غير "مولر" ولكن ماذا يجدى. والكل كان يحمل أيضًا نفس الاسم.

وكلما تقدمت القوات المحتلة داخل البلد أطبقت عليها المصاعب، فلقد شح الطعام فى سين وكان لابد من إرسال مواد غذائية من صاد.

توقفت مظاهر الحياة فى سين حتى القطارات امتنعت عن السير، وكان العاملون فى السكة الحديد يحركون القاطرات هنا وهناك دون هدف والسائقون فى شجار دائم يتنازعون اقتسام العربات فيما بينهم. وبالطبع اختفى جميع الرؤساء والإداريين الذين يملكون زمام الأمور ويصدرون التوجيهات، ولا يستطيع أحد العثور عليهم.

على الجانب الآخر لم يتعرض أحد من المدينة للجنود. فصار الجنود يتجولون داخل البلد دون خوف، فلا أحد يفعل لهم شيئًا أو يمسهم بسوء. وبسرعة تخلى الجنود عن قواعد الحيطة والحذر وأصبحوا يمشون بين أهالى المدينة وخوذاتهم المصفحة فوق رؤوسهم مفتوحة لأعلى، كاشفين عن وجوههم، يتبادلون الحديث مع الأهالى فى ودٍّ واطمئنان.

وصار الأهالى فى سين يقتسمون طعامهم الطازج مع الجنود وأحيانًا يستبدلونه بأطعمة الجنود المعلبة. واستطاعوا إخفاء كل ما لديهم من أطعمة قبل مصادرتها من القائد الأعلى. فكان الجنود يحصلون على السلطات الطازجة أو الكعك المخبوز فى البيت مقابل المعلبات المحفوظة التى يعطونها للأهالى لأنهم سئموا مذاقها.

وعندما علم القائد الأعلى بما يحدث بين الأهالى والجنود ثار ثورة عارمة وصار يصرخ صادراً ألفاظًا غير مفهومة وأمر بمنع أى جندى من ترك وحدته إلا فى حالة تكليفه فى دورية. ولم ترحب الجنود بهذا القرار.

فى النهاية استولت قوات صاد على عاصمة سين. وكانت العاصمة مثلها مثل المدن الأخرى. فالشوارع ليس بها لافتات أو علامات، والبيوت بدون أرقام ولا يوجد ما يدل على أسماء أصحابها، والمصالح والمكاتب خاوية لا يوجد مهندسون ولا مديرون ولا موظفون ولا أسطوات ولا رجال شرطة. الوزارات خالية وقد اختفت جميع الأوراق والمستندات. المصانع والشركات لا تعمل وحكومة المدينة نفسها ليس لها أثر.

استشاط القائد الأعلى غضبًا وقرر أخيراً ألا يرحم أحداً وأمر كل الموظفين والعمال فى المدينة فى بلاغ رسمى التوجه إلى مقار عملهم فى الشركات والمصانع، وهدد بإطلاق النار على من لا يستجيب للأمر ويقبع بالمنزل.

وذهب القائد الأعلى بنفسه إلى محطة توليد الكهرباء مصطحبًا معه جنوداً وضباطًا من أفراد جيشه ممن لديهم خبرة بأعمال الكهرباء لمراقبة سير العمل، ووقف القائد الأعلى أمام

العاملين فى المحطة، وقال لهم فى توعد: سأمهلكم ساعتين لتعملوا حتى يعود التيار الكهربائى إلى المدينة.

وقف الضباط يأمرون والجنود يراقبون. واندفع العاملون يهرولون هنا وهناك ينفذون الأوامر بالحرف. أما النتيجة فكانت ارتباكًا شديداً وفوضى هائلة مع استمرار تعطل التيار.

استدعى القائد الأعلى ضباطه وجنوده مرة أخرى وصرخ فى العاملين قائلا: إن لم يعد التيار الكهربائى إلى المدينة فى ظرف نصف ساعة فسوف يكون مصيركم الموت بالرصاص.

وما هى إلا نصف ساعة حتى عاد التيار بالفعل وأصبحت المدينة مضيئة. وقال القائد الأعلى: أرأيتم أيها الجبناء. يبدو أنكم لا تعملون إلا بالتهديد والوعيد.

ثم سحب القائد الأعلى جنوده وضباطه وذهب بهم إلى محطة ضخ الغاز ليفعل نفس الشىء.

وفى اليوم التالى انقطع التيار مرة أخرى. ونفد صبر القائد الأعلى وقرر أن يبيد جميع العمال والموظفين فى محطة الكهرباء. وتقدم بفرقة انتحارية من جنوده لتنفيذ حكم الإبادة. وعندما اقتربوا من المحطة وجدوها خالية، لم يجدوا فيها أى عامل أو موظف. لقد اختفى الجميع واندسوا بين الناس فى

الطرقات. فأمر القائد الأعلى جنوده بجمع ألف شخص من العابرين فى الشوارع وإطلاق الرصاص عليهم.

بدا تنفيذ هذا الأمر شاقًا للغاية على الجنود، إذ كانوا قد عقدوا صداقات حميمة مع الأهالى، وقد كانت تلك حيلة من الحيل الذكية التى دبرتها الأهالى أن يكونوا دائمًا ودودين مع الجنود، ونتيجة لذلك ضعفت معنويات الجنود، ولم يعد أحد منهم مستعداً لإطلاق الرصاص هكذا دون مبرر على ألف شخص لم يفعلوا شيئًا ألبتة.

وعندما رفض الجنود تنفيذ هذا الأمر استعان القائد الأعلى وهو فى قمة غضبه بالفرقة الانتحارية الخاصة وأمرها بتنفيذ هذه المهمة. ولكن الضباط قالوا له إنه مادام هناك نفر من الجنود لم يمتثل لتنفيذ الأوامر الصادرة، فإن ذلك من الممكن أن يؤدى إلى اندلاع التمرد والعصيان داخل صفوف الجيش.

وفى أثناء ذلك كله تلقى القائد الأعلى خطابًا من أصحاب القرار فى بلده صاد حيث كتبوا له يقولون: أيها القائد الأعلى. قائد المعارك الكبرى. لقد أثبتم أنكم تمتلكون موهبة عظمى فى قيادة الحروب والمعارك وأن لديكم عقلية عسكرية جبارة ونحن نهنئكم بهذا النصر الكبير الباهر، غير أننا نطلب منكم

العودة إلى البلاد وترك هؤلاء المهاويس شعب سين لحال سبيلهم، لأنهم يكلفوننا الكثير.

إن هذا الفتح العظيم الذى قمتم به لا يساوى شيئًا إذا اضطررنا فى كل مرة أن نوفر لكل عامل فى المدينة جنديًا مسلحًا يقف خلفه لكى يجبره على العمل أو نعين خبيراً خلف كل موظف ليشرح له كيف يعمل. نرجوكم العودة إلى وطنكم، فقد حُرمنا من حضوركم المتألق بيننا.

لم يكن أمام القائد الأعلى إلا الامتثال للأوامر رغمًا عنه، فجمع القائد جنوده وأمرهم بمصادرة كل ما يمكن أخذه وحمله من معدات وأدوات قيمة وثمينة، وغادر هو وجنوده سين عائداً إلى بلده صاد وهو يقذف باللعنات والشتائم، وأخذ يزمجر قائلا: ومع هذا فقد استطعنا أن نريهم من نحن، هؤلاء الجبناء. ماذا يمكن لهم أن يفعلوا الآن هؤلاء المغفلون؟ كيف لهم أن يثبتوا الآن من منهم المهندس ومن منهم الطبيب ومن منهم النجار؟ وهم لا يمتلكون أى أوراق أو شهادات؟

كيف يتسنى لهم تنظيم حياتهم ومعرفة من يسكن الفيلات، ومن يسكن المساكن المؤجرة وهم لا يستطيعون إثبات الملكيات؟ كيف يمكن لهم أن يهتدوا إلى أنفسهم وليس لديهم

بطاقات شخصية أو عقود ملكية، لا رخص قيادة ولا سجلات مدنية. إنهم بدون أسماء وبدون ألقاب؟ لابد أنهم سيغرقون فى الفوضى والاضطراب. وكل هذا بسبب أنهم يرفضون خوض حرب معنا. هؤلاء الجبناء!

نعم. نعم.

سيغرقون فى الفوضى والاضطراب.

حقًّا لقد كانت حربًا عجيبة!

الفيـل الفصيـح

ركب العناد يومًا رؤوس الأفيال
فغضبوا وحقدوا على أقرانهم
وتنكروا لعشيرتهم وأقربائهم
أعمامهم وخالاتهم
قالوا عنهم إنهم خونة يدبرون المكائد
ولهذا أعلنت الأفيال الحرب عليهم
حشدت القوات
عبأت القادة
رسمت وخططت الهجوم
وأفلحت الأفيال فى طرد أقرانهم
وإخراجهم من ديارهم
وإحراق أعلامهم
ومحاصرة بيوتهم
عندئذ ظهر صغيرهم
أصغر فيل من بينهم
واسمه: هاينر وقال لهم:

ما هذا؟ إن ما تفعلونه ليس من حسن الخلق

بل هو طبع خسيس. وشيء دنيء

فقالت له الأفيال:

ما شأنك أنت؟

أنت صغير على أن تصرخ هكذا وتحكم فينا

دعك من عبثك الطفولى. ولا تدس أنفك فيما يعنينا

فقال: إن ما يعنيكم يعنينى أيضًا

فالحرب إن بدأت فلن تفرق بينى وبينكم

وإن طالتنى فستفنينى

إننى لا أطمع فى بيوت أقربائى

بل أبغى مودتهم واللعب معهم

فهذا هو أكثر ما يعنينى

وأخذ الفيل الصغير يبوح بكل مخاوفه

والأفيال تصغى حتى هدأت النفوس

وانكشفت لهم شناعة فعلتهم

فهبوا جميعًا فى ندم يعترفون بخطئهم

ويرسلون لأقرانهم هدايا العفو والسماح

تحملها إليهم موسيقى العازفين

وهنا دعت جميع الأفيال

الأهل والأقران إلى إعلان السلام

فدمرت ما لديها من سلاح

وتعاهدت على اللهو البرىء

والفعل المليح

وكان لابد للأفيال

أن يهنئوا صغيرهم الذى أنقذهم

فأطلقوا عليه لقب المنقذ الفصيح

لا تعتقدوا أن هذا من قبيل الفكاهة

وأن لا أحد يصغى لصغير القامة

لكن لكل فعل بداية

ولابد لأحد أن يبدأ.

من وحى قصيدة: "The Eloquent Elephant" لكاتبة الأطفال الكندية "Sheree Fitch"

زحام

حيث يوجد جمع غفير من الناس تحدث دائمًا أشياء لا يتوقعها أحد أو يخطط لها.

أجل، من الممكن أن تحدث أشياء لم يرغب أحد فى حدوثها. ورغم هذا فإن الناس هم الذين يتسببون فى حدوث هذه الأشياء، ألا يبدو هذا غريبًا؟

فكر مثلا فى الزحام الذى يحدث على الطرق. هل كان أحد يرغب فى أن يكون هناك زحام؟ هل يرغب أحد فى أن يقف فى طريق مترب والجو حار ويتصبب عرقًا؟

بالطبع لا. فكل واحد يريد أن ينطلق إلى أى مكان وفى أسرع وقت. وهذا هو السبب فى أن الكل يحشر نفسه فى الزحام. بل إنه يتكرر دائمًا بانتظام.

تقرير لمجلس المنظومة الشمسية المتحدة

باسم مجلس المنظومة الشمسية المتحدة نقدم التقرير التالى حول كوكب الأرض الذى أعده مجموعة من الباحثين:

ملاحظة أولى:

من واقع متابعاتنا لحوالى عشر آلاف دورة من دورات كوكب الأرض ننصح بعدم ضم هذا الكوكب وسكانه إلى مجموعة المنظومة الشمسية المتحدة.

فوق كوكب الأرض نوع من السكان يتصف بالذكاء وقد تزايد بكثرة خلال المليون دورة الأخيرة وانتشر فى ربوع الكوكب. هؤلاء السكان يطلق عليهم بشر. وعلى الرغم من ذكائهم، فإنهم اليوم -وقد وصلت أعدادهم إلى ستة مليارات- أصبحوا عاجزين عن توفيق أوضاعهم وتصريف شئونهم وأفعالهم بالطرق السليمة والمنطقية.

غالبًا ما يدمر البعض منهم ما ينجزه الآخرون، ويسلبون الغذاء والكساء من بعضهم البعض. وعلى الرغم من أنهم يصنعون أشياء تيسر عليهم العيش وتجمل حياتهم، فإنهم فى

المقابل يدمرون ويلوثون الهواء والماء والزرع فوق كوكبهم فيصعّبون الحياة على أنفسهم من جديد.

ولدى هؤلاء السكان عادة مذمومة يعانون منها يطلقون عليها اسم الحرب. فعندما تقوم الحرب تنقض جماعات كثيرة من البشر على بعضها البعض، وتفنى كل جماعة الأخرى فتدمر البيوت وتسلب الزاد والقوت. وتطلق كل جماعة على الأخرى اسم عدو وتتسبب كل منهما فى حدوث كوارث وفواجع.

وقد حاولت مجموعة الباحثين معرفة الأسباب التى تدفع البشر إلى هذا التصرف الممقوت. فوجدوا أن البشر أنفسهم قد فشلوا فى إيجاد إجابة شافية لهذا السؤال. والغريب فى الأمر أن كثيرين من بنى البشر يرفضون ويستنكرون تلك العادة الوحشية ويعتبرونها مصيبة كبرى أحلت بالبشرية. لكن هناك أيضًا من يستسيغ الحرب ويستمتع بمشاهدة صورها.

أما الذين يرفضون الحرب فلديهم المبررات المختلفة حول أسباب اندلاعها. البعض منهم يرى أنها حالة من الجنون تنتاب جماعات من البشر، على حين يعتقد البعض الآخر أن هناك روحين تسكنان نفوس البشر. كل روح مختلفة عن الأخرى، روح طيبة تحب الآخرين وروح شريرة تكره الآخرين.

وهناك من يعتقد أنه بالرغم من كون الحرب شيئًا مفزعًا فإنها ضرورية من حين لآخر. وكثيراً ما تندفع جماعتان من البشر إلى الحرب فتعلل كل جماعة منهما ما فعلته بقولها: نحن لا نريد الحرب لكن الآخرين هم الذين دفعونا إليها.

أما المجموعة التى أعدت البحث، فتميل إلى الاعتقاد أن المشكلة الرئيسية للبشر أنهم غير قادرين على العيش داخل جماعات كبيرة فى وئام وانسجام، إذ يبدو أنهم لا يدركون أن هناك جماعات أخرى تعيش معهم فوق سطح كوكبهم.

ولتقريب هذا المعنى إلى أذهان البشر، يمكن أن نسوق مثلا لنوع من الكائنات الحية التى تعيش فوق كوكب الأرض يطلق عليهم البشر اسم ثور. فإذا قمنا بربط ثورين فى أداة متحركة يطلق عليها البشر اسم عربة، وجعلنا الثورين يشدان تلك العربة، سنلاحظ أن ثوراً منهما سيقوم بشد العربة فى اتجاه الشمال، أما الثور الآخر فسيشد العربة فى اتجاه الغرب. وسنجد فى النهاية أن الثورين سيصلان بالعربة إلى الشمال الغربى على الرغم من أنهما لم يقصدا هذا الاتجاه.

فإن جميع البشر فوق الكوكب لم يدركوا أنهم مرتبطون ببعضهم البعض مثل ارتباط الثورين بالعربة. لكن تصرفات

البشر أعقد بكثير من مجرد شد عربة. ونتيجة تلك التصرفات الصادرة من ستة مليارات كائن من البشر أصعب بكثير من حساب هذا الطريق الذى قطعه الثوران. ويبدو أن ذكاء البشر لا يصل إلى فهم تلك المسألة حتى اليوم.

وفيما يلى نقدم تقرير مجموعة الباحثين حول أسباب نشوب الحرب فوق كوكب الأرض.

الصيد:

فى الماضى، قبل آلاف الدورات لكوكب الأرض، كان سكان الكوكب يعيشون على الصيد وجمع الثمار من الغابات. ولم تكن الحرب معروفة لديهم بعد. كان سكان الكوكب يعيشون فى قبائل صغيرة مع بعضهم البعض يجوبون الغابات. كل قبيلة تتكون من ستين إلى ثمانين شخصًا فقط، ربما يكونون عشر عائلات أو خمس عشرة عائلة.

وكان لكل قبيلة منطقة الصيد الخاصة بها التى تتجول فيها على مدار السنة للبحث عن الحبوب والثمار والفطر وجمع جذور النباتات والقواقع والضفادع، وأيضًا صيد ما يمكن اصطياده من الحيوانات. وقد عاشت القبائل فى الوديان بين

الجبال، كل ثلاث أو أربع قبائل فى منطقة، فالغابة لا تكفى لإطعام أعداد كبيرة من الأفراد.

ولم تكن القبائل تعرف الملوك أو الرؤساء، ولا تعرف المحاكم ولا الشرطة ولا السجون. ولم يكن لديها قوانين. ولِم القوانين؟ فحين يقوم شخص بفعل شىء لا يروق للآخرين، فإنهم يجلسون مساء مع بعضهم البعض حول النار يتدفئون ويتناقشون. وحين يريدون اصطياد الغزلان، فإنهم يتبعون أمهر صياد فيهم. وحين يأتى وقت جمع العسل من قلب خلية نحل مفترس، فإنهم يتبعون المرأة التى تتعامل مع النحل. أما حين يشتد الخلاف بينهم، فإنهم يتبعون نصيحة الرجل الأكبر سنّا أو المرأة الأكبر سنّا فيهم لما لديهما من خبرة بالحياة.

وكانت تلك القبائل تعيش مترابطة فى تضامن واتحاد وتقتسم كل شىء فيما بينها، لأنها لا تقوى على البقاء إذا لم تفعل ذلك. وعندما يتزايد عدد الأفراد فى قبيلة، كان عليها أن تنقسم ليذهب نصف أفرادها للبحث عن مناطق أخرى للصيد. وربما تطأ القبيلة الجديدة منطقة خاصة بقبيلة أخرى. عندئذ من الممكن أن ينشأ نزاع بينهما، ولكن سرعان ما كان هذا النزاع ينتهى ولا يتعدى كونه مشاجرة بين طرفين. وعندما تلجأ قبيلة

منهما إلى الفرار كان النزاع يتلاشى كأنه لم يكن. وفى العادة لم تكن تنشأ تلك المنازعات إلا حين تضطر قبيلة منهم إلى الرحيل إذا كثر عدد أفرادها. أما فيما عدا ذلك، فلم يكن هناك ما يدعو للنزاع أو القتال.

ولم تكن لمثل تلك القبائل الرغبة فى أن تعمل دومًا على زيادة رقعة المنطقة التى تصيد فيها لأنها لا تملك القدرة على الانتفاع بالمساحات الكبيرة. ولهذا لم يكن من المنطق السطو والاعتداء على منطقة مجاورة لقبيلة أخرى لأن الفريق المعتدى لن يجد ما يستولى عليه، فجميع القبائل فى ذلك الوقت لم يكن لديها سوى مخزون قليل من الصيد أو الطعام. فقد كانوا يعيشون على قوت يومهم، يومًا بيوم.

الزراعة:

ومنذ حوالى ست آلاف دورة من دورات الكوكب ازدادت الفروق المناخية على مدار فصول السنة ما بين الجفاف والبرودة. وكان من تأثير ذلك أن بعض النباتات أصبحت لا تنمو، وكذلك انقرضت بعض الحيوانات التى كانت تتغذى على تلك النباتات. وكانت هناك نباتات ذات جذور قوية استطاعت

أن تصمد أمام التغير المناخي واكتشف الإنسان كيف يرعاها ويعتني بها. كما اكتشف الإنسان كيف يمكن أن يزرع في مساحة ضيقة الكثير من الحبوب والبذور، وفطن إلى أن هذا أفضل من التجوال والرحيل من منطقة لأخرى والاكتفاء بما يجده في تلك المناطق من طعام. فقررت القبائل عدم التنقل والترحال وقام أفرادها لأول مرة ببناء القرى وأصبحوا مزارعين.

ولقد احتفظ هؤلاء المزارعون بالكثير من عادات الصيد القديمة التي كانوا يألفونها. فكما كانوا يخرجون للصيد جميعًا، أصبحوا الآن يفلحون الأرض معًا في الحقول. لم تكن الأرض ملكًا لأحد، كانت ملكًا لهم جميعًا.

وعندما تستدعي الحاجة إلى مناقشة أمور مشتركة بينهم، كان سكان القرى يجتمعون لمناقشة هذه الأمور دون اللجوء إلى اختيار حكام من بينهم. وحين يكون هناك ضرورة لتنظيم شأن ما، كاستصلاح قطعة أرض أو بناء مجمع للبلدية أو القيام برحلة صيد، فإنهم كانوا يطلبون ممن يمتلك الخبرة والمعرفة في هذا الشأن تولي زمام القيادة سواء كان رجلا أم امرأة. وكان هذا النظام هو السائد بينهم. وقد كان الرجال لا يزالون يخرجون للصيد على الرغم من تضاؤل فرصه عما كان من قبل. وكان

معظم العمل فى الحقول يتم بواسطة السيدات. ولأن الطعام الرئيسى كان مصدره الحقل، فإن الكلمة العليا كانت للسيدات.

كانت لحياة المزارعين سلبياتها وإيجابياتها. قديمًا، عندما كانوا يعيشون على الصيد وجمع الثمار والترحال فى الغابة لم تكن فلاحة الأرض تعنيهم، ولم يكن موت نوع من النبات يقلقهم، حيث كانوا يجدون غيره فى مناطق أخرى من الغابة. ولكنهم الآن مستقرون فى قطعة أرض.

فإذا هجم عليهم الجفاف يتضورون جوعًا. وصار غذاؤهم محدوداً لا تنوع فيه فضعفت أسنانهم ونحلت أجساد أطفالهم. وصار عملهم شاقًا يسير على وتيرة واحدة. وأصبحت حياتهم خالية من التنوع والمغامرة والإثارة كما كانت من قبل.

لكن العودة إلى الوراء كان مستحيلا. يكفى أن حياة الصيد والترحال كانت تحتاج إلى مساحات شاسعة من الأرض، بينما حياة المزارعين تحكمها مساحات محدودة. أما الجديد فى حياة المزارعين فيتلخص فى أنهم أصبحوا ينتجون أكثر مما يستهلكون. فلم يعودوا يعيشون من قوت يومهم فقط، بل أصبح فى مقدورهم جمع مخزون من الطعام لتأمين حياتهم فى الأوقات الصعبة حين يهاجمهم الجفاف أو يباغتهم الطوفان.

وعندما كان المخزون يفيض فى عام من الأعوام، كانوا يستثمرون الفائض لتنمية أشياء أخرى، فيلجأون مثلا إلى الاكتفاء بزراعة عدد أقل من الأفدنة فى مقابل أن يقوم نفر من المزارعين بشق ترعة للرى حتى تخرج الأرض محصولا أكثر وفرة فى العام الذى يليه فيتضاعف بالتالى المخزون.

ومع نمو المخزون يجد المزارعون فرصة سانحة لالتقاط الأنفاس والراحة أو توجيه جهودهم لاستثمارات جديدة. فإن الأرض لا تحتاج كل الأنفار لزراعتها، ولذا فقد اتجه البعض إلى مهنة الحدادة أو صناعة الخزف والفخار ومهن أخرى.

ومع تطور تلك الفنون والصناعات كانت حياة المزارعين تتطور أيضًا مع السنين. وبمرور الوقت تخصص البعض منهم فى مهن مثل التمريض أو الدعوة للدين أو تأليف الأغانى. وعلى الرغم من أن هذه المهن ليست فى مجال الزراعة ولا علاقة لها بنمو المحاصيل فقد جعلت الحياة أكثر ثراء وبهجة. وبدأ التقدم يأخذ مجراه على مهل وبخطى حثيثة. وبدأ الناس يصنعون الحلى ويرسمون اللوحات وينحتون التماثيل ويؤلفون الحكايات والأشعار. وأصبحت الملابس أكثر رونقًا وتعددت فنون الرقص وكانت الحياة تتسم بالوداعة والسلم.

الرعى:

أما الصيد فكان لا يزال موجوداً فى مناطق أخرى وكان الصيادون يقتفون أثر حوافر الأغنام. كانت الإبل والغزلان والخراف والماعز ترعى فى الشتاء فى السهول والوديان وفى الصيف فوق الجبال والمرتفعات.

وكان الصيادون يقتفون أثرها وهم يتنقلون. وكانوا يجدون التمر وثمار البلوط واللوز والفستق فى السهول، ويجدون التفاح والكمثرى على المرتفعات. وكانت هناك الأعشاب البرية التى تنمو على ارتفاعات مختلفة فى مختلف فصول السنة.

وكلما كان الصياد محنكًا وماهراً فى الصيد عرف كيف ينتقى الفريسة التى يمكنه الإيقاع بها. وكان الصيادون يستهدفون الكباش الصغيرة ويتركون إناث الحيوانات حتى يتركوا الفرصة للقطيع أن يتكاثر.

كما كانوا يصطادون الدببة والذئاب والثعالب حتى لا تفتك بالإبل والماشية والأغنام. ويدفعون القطيع إلى مناطق آمنة ليسهل عليهم الاعتناء بها. كانت الغزلان والكباش أكثر وداعة من الخراف والماعز وتألف سريعًا صحبة البشر ولذلك كان الصيادون يفضلون اقتفاء أثرها.

ومع مرور الوقت تحول الصيادون إلى رعى الإبل والأغنام وأصبحوا رعاة. وكانت حياة الرعاة تشبه إلى حد كبير حياة الصيادين. فقد كان الرعاة مثل الصيادين يتنقلون على مدار السنة فى الأراضى الشاسعة للمراعى الخضراء. وكانوا أيضًا يقتفون آثار الحيوانات التى لا يستطيعون ترويضها. ولأن هذا العمل كان مرتبطًا بالرجال وليس بالسيدات، فقد أصبح الرجال المسئولين عن القطيع بل اعتزوا بما يمتلكون من إبل وأغنام. وهذا ما جعل الرجل فى تلك المجتمعات هو المتسيد وله الكلمة العليا. وجمعت الرعاة والمزارعين مصلحة مشتركة. فقد كان لدى كل طرف منهما شىء يحتاجه الآخر. كان الرعاة يحصلون من المزارعين على الحبوب والخبز والأوانى الفخارية، على حين كان المزارعون يحصلون من الرعاة على لحم الإبل والماشية وجلود الحيوانات والجوز واللوز والأعشاب البرية.

القوى والضعيف:

وفى يوم من الأيام اكتشف رئيس قبيلة الرعاة وهو راعٍ وصياد له نفوذ كبير فى قبيلته أنه من الممكن أن يأخذ الرعاة ما يحتاجونه من المزارعين دون إعطائهم شيئًا فى المقابل.

لم يكن لدى المزارعين دراية بأمور الصيد والقنص، وبالتالى لم يكونوا محاربين بارعين. أما بالنسبة للرعاة فقد كانوا أقرب إلى حياة الصيد من المزارعين ونظروا إلى المزارعين على أنهم مجرد صيد أو فريسة جديدة. وعلى هذا النحو دأبوا على مهاجمتهم والاستيلاء على ما لديهم.

ولكن لا يعنى هذا أنهم تحولوا فجأة إلى أشرار، بل أغلب الظن أنهم ظلوا محتفظين بأسلوبهم المعتاد فى السعى وطلب الرزق. وطبقوا هذا الأسلوب على فريسة من نوع آخر، وهم المزارعون وما يملكون من ماشية وحبوب وغلال. ومع هذا ظلَّ الرعاة فيما بينهم متعاطفين، لا يقسون على أحد، يساعدون بعضهم البعض كما كانوا دائمًا، يقتسمون الغنائم، ويشتركون فى تنظيم أمور معيشتهم، يحنون على أطفالهم ويلاطفونهم. لقد كانوا صيادين وليسوا محاربين، كان الصيد هو ما يعرفونه فى دنياهم وما تربوا عليه.

أما الحرب فى حد ذاتها فلم تكن غايتهم، ومع ذلك فمن خلالهم وُلدت الحرب وخرجت إلى الوجود. ولكن لماذا كان الرعاة يسطون دائمًا على قرى المزارعين وينهبون خيراتها ؟ لقد اعتاد المزارعون إنتاج كميات تفوق بكثير ما يستهلكون

بالفعل. ولو كان الرعاة فى أثناء سطوهم يتركون شيئًا فى مخازن الغلال ولا يسلبونها بالكامل، أو يتركون بعض الأغنام ولا يسرقون القطيع كله، لو أنهم فعلوا ذلك، إذن لاستطاع المزارعون أن يجدوا بطريقة أو بأخرى ما يقتاتون به حتى موسم الحصاد القادم. ولكن الرعاة كانوا دائمًا يسلبون خيرات المزارعين عن آخرها، وكان المزارعون بدورهم يسارعون بتعويض ما سُلب منهم، فتمتلىء المخازن بالحبوب مرة ثانية ويفيض المحصول ويجد الرعاة ما يمكن الاستيلاء عليه.

السادة والعبيد:

ومع الوقت عقد الرعاة نوعًا من الاتفاق مع المزارعين يغنى عن السطو والاعتداء. وكانت تلك الاتفاقية تنص على أن يقدم المزارعون الحبوب والغلال والماشية طواعية للرعاة –وهو ما أطلقوا عليه اسم جزية أو ضريبة السطو– ويقومون فى المقابل بحمايتهم والدفاع عنهم. ومع استقرار هذا الوضع أصبح الرعاة سادة يتحكمون ويحاربون، وأصبح المزارعون عبيداً لهم.

وحدث شىء يستحق الدهشة والتعجب. فعلى الرغم من أن هؤلاء الرعاة الذين صاروا أسياداً لا يعملون، بل يستهلكون

بإسراف ما ينتجه المزارعون، فإن المجتمع فى مجمله كان مجتمعًا يملك فائضًا كبيراً يكفى نفسه ويزيد أكثر مما كان من قبل الزمن الذى كان المزارعون فيه أحراراً غير مستعبدين.

أما تفسير ذلك فهو أن المزارعين صاروا ينتجون بوفرة ولا يحتفظون لأنفسهم سوى بالقليل من إنتاجهم عكس ما كانوا فى سابق عهدهم. فعندما كان المزارعون أحراراً يملكون وحدهم خيراتهم ويتحكمون فى تنظيم أوقاتهم لم يكن أحد يضطرهم أو يجبرهم على بذل أقصى ما يمكن القيام به من أعمال، كما كانوا أيضًا لا يرضون بالقليل الذى يكفل لهم العيش فحسب. وهل كان لأى عاقل فيهم أن يرضى بذلك؟

وهذا هو بالضبط ما يُفرض عليهم اليوم من سادتهم: أن يبذلوا أقصى ما عندهم من جهد وأن يقنعوا بأدنى ما يمكن أن يكتفوا به للعيش.

ولأن هذا المجتمع -مجتمع المزارعين والأسياد- كان ينتج فائضًا كبيراً ، أكبر من أى مجتمع آخر ، فكان لابد من شق المزيد من الترع للرى وصناعة المزيد من الآلات واكتشاف المزيد من المخترعات أكثر من أى مجتمع آخر. بل أصبح فى إمكان هذا المجتمع إنتاج أسلحة كثيرة وبناء التحصينات.

باختصار كان هذا المجتمع يتفوق على غيره من المجتمعات التى كانت موجودة فى ذلك الوقت وكانت لديه القدرة على النمو سريعًا وإخضاع المجتمعات الأخرى.

لم تكن قبائل الصيادين الأولى تهتم بتوسيع منطقة الصيد الخاصة بها، إذ أنه لم يكن فى استطاعتها استغلال تلك المناطق الاستغلال الأمثل. وكذلك فعل المزارعون، فقد كانوا لا يهتمون بتوسيع رقعة الأرض التى يزرعونها لأنه لم يكن فى مقدورهم استصلاح وزراعة أراضٍ كثيرة.

ولكن حين انقسم المجتمع إلى سادة وعبيد، كان الأسياد وهم الحكام يتطلعون دائمًا لضم الكثير من القرى والمناطق تحت سيطرتهم. وكلما كثرت المناطق التى يحكمونها، حصلوا على المزيد من الضرائب التى يفرضونها على الأهالى. وكلما تزايدت حصيلة الضرائب، أمكن الصرف على المزيد من التحسينات والتى بدورها تدعم سلطانهم ونفوذهم مرة أخرى.

وسريعًا ما ظهر محاربون فى مناطق أخرى لهم نفس التوجه، فهم يحاربون ويسيطرون على مجتمع المزارعين، وكان على الحكام أن يحذروهم. وأصبحت الحرب سلوكًا مألوفًا بين القبائل والمجتمعات، بل إنها تحولت إلى عادة تحكمهم.

ولنقم بتلخيص تلك الحكاية المؤسفة:

ففى البداية، عندما كان الفرد حراً، كان يستغل الوقت المتاح بعد العمل لصنع أشياء تجعل الحياة أكثر بهجة ومتعة. وكان الأفراد يستثمرون وقتهم لتأليف الموسيقى وتصميم الرقصات وحكى القصص وصناعة الحلى وزخرفة ملابسهم وتزيين أجسادهم.

أما عندما سيطر الحكام المحاربون على المجتمعات والقبائل، فقد أجبروا الأهالى على زيادة الإنتاج حتى يستطيع الحكام الحصول على المعادن وصناعة السلاح، وبناء الأسوار الدفاعية والأبراج العالية، وكلها أشياء لا تجلب للفرد سوى التعاسة والألم. ومن عجائب الأمور أن البلدان التى كانت تحارب فيها الملبس الجميل والحلى الثمين والتماثيل الضخمة والموسيقى الجميلة. لكن كل تلك الأشياء الجميلة لم تكن فى متناول الشعب، بل كانت ملكًا للحكام.

كان الحكام يجلبون أمهر الفنانين إلى قصورهم، يقدمون لهم أفخر أنواع الطعام والملابس ويوفرون لهم أطيب الإقامة فى أحسن البيوت حتى يتفرغوا طوال اليوم لإبداع أجمل ما عندهم. ولكن ما يبدعونه من فنون لم يكن ينتفع به عامة الشعب.

وكان يمكن أن نجد فى كل قرية موسيقى فنان أو صانع حلى ماهر، ولكنهم كانوا مزارعين ولم يكن لديهم بالتالى الوقت الكافى لتنمية مواهبهم الفنية وصقل مهاراتهم.

ونستطيع القول إن مجتمع الحكام المحاربين كان فى العادة مجتمعًا غنيّا، إذ كان الحكام يعيشون فى ثراء ويتحكمون فى ثروة البلاد بينما يعيش معظم الشعب فى فقر وجهل. وهذا هو السبب الحقيقى الذى كان يجعل الحكام أقوى من أفراد الشعب ويجعل الحكام أيضًا يُخْضعون سائر أفراد الشعب تحت حكمهم وسيطرتهم. ومن هنا أصبحت الحرب تمثل عالم القتال والسلب والقمع.

ولم تكن طريقة العيش التى تجلب السعادة والمتعة لمعظم أفراد الشعب هى السائدة، بل كان أسلوب العيش يفرض على الفرد توفير الفائض الأكبر من الإنتاج لجعل التقدم السريع ممكنًا. أما إلى أين يمكن أن تنقاد الشعوب؟ فهذا ما سوف نعرض له هنا من خلال مثال لمنطقة كان يُطلق عليها الإمبراطورية الرومانية:

فسرعان ما اكتشف الأمراء المحاربون من الرومان أنه بإمكانهم مضاعفة ثرواتهم إذا ما جعلوا أعداءهم المهزومين

عبيداً لهم. لم يكن للعبد أى حقوق، كان عليه أن يعمل بجدٍّ مثل الحيوان، وكان غالبًا ما يعامل معاملة أسوأ من الحيوان. وفى الواقع لم يكن العبد يعمل إلا إذا أجبر على العمل. ولم يكن العبد يعيش طويلا، فقد كان لا يحظى حتى على العناية المتوفرة للحيوان. ولكن لم تكن تلك هى المشكلة بالنسبة لأمراء الرومان.

فقد كان يمكنهم خوض المزيد من الحروب وأسر المزيد من العبيد. وقد وصل الأمر فى روما إلى أن نبذ الرومان الأحرار العمل وأصبحوا لا يبتغونه، إذ كان العمل فى نظرهم من مهام العبيد. وركزت الإمبراطورية الرومانية على الحروب التى تدخل فيها دومًا لجلب أكبر عدد ممكن من العبيد الذين يتولون القيام بجميع الأعمال ويوفرون الغذاء لروما الكبيرة. أما الرومان الأحرار فقد كانوا كلهم إما جنوداً يخوضون الحروب أو عاطلين يتسكعون ولا عمل لهم، فيما عدا قلة منهم كانوا يعملون فى خدمة القيصر، وعدد منهم يمتلكون الأراضى وآخرين يتاجرون فى العبيد.

ودأبت الإمبراطورية الرومانية على شن حروب كثيرة، واتسع ملكها وتمدد. ثم جاء يوم انهارت فيه تلك الإمبراطورية

وسقطت. لقد اتسع نطاق حكمها وتضخم حتى إن الجنود الرومان عجزوا عن الدفاع عن الحدود البعيدة المترامية، وعجزوا أيضًا عن حراسة العبيد وإخضاعهم فى جميع البلاد. وجاء وقت أصبحت فيه الحروب لا تعمل على تقوية البلاد، بل تضعف من شأنها، حتى انتهى المطاف إلى انهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها.

وظهرت إمبراطوريات أخرى حلت محل الإمبراطورية الرومانية. ونشأت أشكال أخرى من الحياة الاجتماعية. ولكن بقى هناك شيء لم يتغير: فقد غلب طابع الحياة الذى يجبر الفرد على الإنتاج وتوفير الفائض الأكبر منه، وليس نمط الحياة الذى يهب نوعًا من الراحة والمتعة للفرد. فقد كانت الإمبراطوريات أو البلاد التى تملك فائضًا كبيراً من الإنتاج تمتلك القدرة على أن تخضع البلدان الأخرى وتملى عليها طريقة العيش.

ولهذا لم تختفِ الحروب إلى يومنا هذا من حياة البشر. وتستغل الشعوب الجزء الأكبر من الفائض لديها لإنتاج أنواع جديدة ومتطورة من الأسلحة. فاليوم يمتلك البشر أسلحة تستطيع تدمير الحياة كلها على كوكبهم. ولهذا أصبح هؤلاء البشر يمثلون خطراً على كوكب الأرض.

ولن يستطيع البشر اكتشاف نوع جديد من أنواع الحياة الاجتماعية فوق كوكب الأرض إلا إذا أدركوا أن الحرب والقمع لا يجلبان سوى ثروة ظاهرية.

ولابد للبشر أن يدركوا أن الثروة الحقيقية لا تكمن فى حجم الثروات التى يمكن لشعب أن يمتلكها، والتى تمكنه بدورها من زيادة الإنتاج بل إنها تكمن فى أن يجد معظم سكان الكوكب وقتًا كافيًا لسماع وعزف الموسيقى والرقص وتبادل الأحاديث واللعب والتأليف والرسم والحكى وممارسة الرياضة.

باختصار أن يجد الفرد وقتًا لتجميل الحياة من حوله. أما فيما عدا هذا فإن الحروب يمكن أن تنشأ فتدمر الكوكب بأكمله فتنهار الحياة كما حدث مع انهيار الإمبراطورية الرومانية.

ختام:

فإن الأمر قد حُسم بعدم قبول سكان كوكب الأرض فى مجموعة المنظومة الشمسية المتحدة طالما أن سكان هذا الكوكب لا يدركون ولا يفهمون أبسط القواعد الأساسية للحياة معًا فى جماعات كبيرة وكثيرة.

هذا هو ما انتهى إليه تقرير مجموعة الباحثين.

كلمة أخيرة

أعلنت الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة أن عام 2000 "عام لثقافة السلام". وبهذه المناسبة قمت بإعداد هذه المجموعة القصصية.

منذ بدأت الكتابة للأطفال كانت تراودنى دائمًا أمنية كبرى، أن أتناول موضوع "الحرب والسلام" فى شكل مبسط للطفل. ويبدو لى أنه لا يكفى أن نقصّ على الطفل أن الحرب شىء مفزع وأن السلام أجمل بكثير على الرغم من أن هذا الأسلوب فى حد ذاته خطوة إيجابية أمام الاتجاه الآخر من أدب الشباب والنشء الذى يمجد مآثر الجند والبطولات الحربية.

ومعظم الأطفال على امتداد كوكبنا يعلمون أن الحرب شىء كريه وأن السلام أفضل. ولكن هل من الممكن أن يعم السلام؟ أو فلنطرح السؤال بطريقة أخرى: هل الحرب قدر لا مفرّ منه يصيب البشر مرة بعد الأخرى؟

ثقافة السلام، وفهم الآخر، والتسوية الودية للصراعات، كل هذا جميل وطيب. ولكن ماذا نفعل إذا لم يرغب الطرف الآخر فى السلام؟

إننى لا أستطيع تصور أنه يمكننا أن نبعد الحروب عن حياة البشر ما لم نبحث عن الأسباب التى دعت إليها، فعندما ندرك سبب المرض نقاومه بفاعلية مصوبة نحو الهدف.

صحيح أننى كنت أتغيب عن درس مادة التاريخ فى الجامعة، ولكنى كنت أتابعه فى المنزل وأقرأ فى التاريخ حتى اليوم. فأنا ككاتب تشغلنى بالطبع قضية مصير البشر الذى يتحدد من خلال الفكر والفعل. لكن لا أستطيع أن أجزم أننى وجدت حجر الحكمة أو أننى أستطيع من خلال قصصى أن أشرح تمامًا ما الأسباب الداعية للحروب، ولا يوجد عندى وصفة جاهزة لتجنب حروب مستقبلية.

بيد أن القصص التى أكتبها تتعدى مجرد كونها تبعث على التفكير، فالأدباء يريدون دائمًا منحنا ما يلهم تفكيرنا. لكن فى وقت ما لابد أن يمسك أحد أيضًا بخيط المبادرة ويفكر. والقصص التى قدمتها هنا تقترح أسلوبًا يساعد على الإبقاء على صحوة التفكير، فهى تقوم بتحفيز المشاعر حول أسباب الحروب، وكيف يمكن كشفها ؟

ولدت فكرة أقصوصة: "الحالم" فى أثناء ورشة أسبوعية فى بلدة أوتستال (جنوب غرب فرنسا)، هناك حيث عقدت مبادرة

ثقافية للنشء تحت عنوان "ألعاب نارية" وكان الموضوع المثار: "حراً كالريح والسحاب". هناك كتبت مع الأطفال كتاب الريح وكتاب السحاب.

أما قصة:"الصبى والبندقية"، وعنوانها الأصلى:"الصبى الأزرق"، فقد كتبتها لقناة التليفزيون ZDF خصيصًا لبرنامج مسلسل للأطفال بعنوان:"الأحجار السبعة".

وكان هذا فى أعقاب فترة التحول التى شهدتها ألمانيا عام 1989، وكان قد حلّت على العالم إنعاشة سلام قصير. وعندما ظهرت هذه القصة فى شكل كتاب كان العالم يعيش يومًا بيوم أحداث حرب الخليج.

تعالج هذه القصة الجمود النفسى الذى يمكن أن يسببه الخوف. والمغزى من ختام القصة لا يكمن فى أن الصبى يلقى البندقية بعيداً.

أما المغزى هو ما الذى دفع الصبى بأن يلقى بالبندقية، فلا يكفى أن يقول الرجل العجوز للصبى:"تستطيع أن تبقى معى لو تخلصت من بندقيتك وألقيتها بعيداً"، ولكن يجب أن يمتلأ الصبى بالشعور بأن هناك أملا فى التغيير مما يدفعه إلى التخلى عن بندقيته.

قصة:"الحرب فوق كوكب المريخ" محاولة تبين معنى الجرى خلف المطامع الشخصية التى قد لا تؤذى أحداً ولكنها يمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوب فيها.

نفس الفكرة تتبدى أيضًا فى قصة:"ما حدث فوق كوكب الجزر" حيث توضح القصة كيف يمكن أن يتحول نظام معين للحياة الاجتماعية المشتركة إلى نظام آخر ذى طابع خاص حتى ليصبح من العسير تغيير أى شىء، بل إن هؤلاء الذين تضرروا منه بالفعل يصبحون هم المدافعين عنه.

وأقصوصة:"العبد" تحكى ما يمكن أن يحدث حين يبتدع الناس أنظمة فيصبحون سجناء لتلك الأنظمة فيما بعد.

وقصة:"الناس العجيبة فوق كوكب هورتوس" توضح فى قالب مبسط ما تجرّه علينا الحروب من تكاليف باهظة.

وتحكى قصة:"الحرب العجيبة" شكلا من أشكال المقاومة السلبية الممكنة. فإن نوع المقاومة يرتبط بالأهداف التى يرمى إليها المعتدى.

فإذا كان المعتدى يهدف إلى إبادة الشعب المعتدى عليه، فإن المقاومة السلبية لا تجوز هنا. بيد أن معظم الحروب تندلع بهدف إخضاع الشعوب دون إبادتها.

وتعد قصة:"تقرير لمجلس المنظومة الشمسية المتحدة" ملخصًا لكل ما جاء من أفكار فى القصص الأخرى. وربما تشير القصة إلى الصبى فى قصة:"الصبى والبندقية" وما توصل إليه خلال السنوات التى عاشها فوق كوكب القمر يدرس من خلال المنظار أحوال الكواكب الأخرى.

لقد كتبت الصياغة الأولى لهذه القصة فى أثناء الورشة الأسبوعية التى قضيتها فى بلدة"أوتستال" عندما طلب الأطفال منى أن أقصّ عليهم الحكايات. وتصادف أن كانت هناك طفلة تحمل نفس اللقب العائلى الذى أحمله وكان اسمها نينا. وقد أعطتنى هذه الطفلة ورقة كُتب فوقها:"مارتين، أرجو أن تقول لى لماذا تقع الحرب؟".

وتستند قصة المنظومة الشمسية على عدة مصادر من بينها أبحاث لويس مامفورد (مفكر وفيلسوف أمريكى) فى كتابه: أسطورة الآلة، كما تعتمد أيضًا على تأملاتى الخاصة.

فى الماضى كنت أعتقد أنه كان هناك زمن لم يعرف فيه البشر الحرب بتاتًا. وعندما قرأت لجين جوديل عالمة الأنثروبولوجيا عن الحرب بين جماعات الشمبانزى، كان لابد لى أن أعيد النظر فى هذا الاعتقاد، إذ إنه حتى فى العصر الذى

كان الناس فيه يعيشون على ما تجمعه السيدات من ثمار وما يأتى به الرجال من صيد* كان يحدث أن تضطر جماعة إلى البحث عن مناطق صيد جديدة فتدخل بالتالى فى تنازع وصراع مع جماعة أخرى.

ولكن بمجرد أن تطرد جماعة منهما الجماعة الأخرى كانت الحرب بينهما تتلاشى، وكان من الممكن أن تقوم الحرب ثانية ولكنها أبداً لم تكن جزءا من ثقافة المجتمع حينذاك.

وما إن بدأ المجتمع الزراعى وتطورت أساليب الزراعة وتربية الماشية استطاع الناس جمع مخزون من الفائض مما أتاح الفرصة للغزوات الحربية.

وكانت الغزوات تقوم على اغتصاب مخزون الجماعة التى هزمت دون القضاء عليها بالضرورة. وصارت الحرب مكونًا أساسيًا من سلوك المجتمع لأنها كانت الوسيلة لضم مخزون جماعات صغيرة من البشر ثم العمل على استثماره فيؤدى هذا إلى زيادة فى الإنتاج تنعكس بدورها على نمو الفائض الذى يعاد استثماره مرة أخرى فى التنمية.

وكانت الحرب الوسيلة الفعالة للبقاء حيث لم يكن المجتمع قد تطور وعرف المباحثات وإبرام الاتفاقيات.

* نسب جمع الثمار للسيدات والصيد للرجال إذ كان الصيد فى المقام الأول من مهام الرجال، ومع ذلك كانت الثمار والبذور والنباتات المصدر الرئيسى للغذاء وكان جمعها من مهام السيدات.

ولم تكن دوافع الحكام والمحاربين ذات أهمية. ففى الطبيعة تطرأ خصائص مثل القرون التى تميز بعض الحيوانات طبقًا لنظرية التطور. وبقاء القرون أو اختفاؤها يرتبط بما تؤديه من وظيفة، فإذا كانت ذات وظيفة إيجابية فإنها تحمى بقاء السلالة وتساعد على تكاثرها وإذا كانت معوقة فإنها تدفعها إلى الفناء.

ولدى رئيس القبيلة الأسباب التى تدفعه للحرب، فهو يمكن أن يخوض الحرب بسبب ما يضمره من كراهية وضغينة للقبيلة المجاورة، أو بسبب الرغبة فى تأكيد النفوذ، أو لأسباب عقائدية، أو بسبب الغرور الأعمى للسلطة، أو بسبب عداء متوارث، أو كبت محبط، أو أى سبب آخر.

ومن الممكن أن تستمر آلة الحرب لكونها وسيلة لجمع وحشد البشر تحت مظلة إمبراطوريات أو دول كبرى وما يمكن أن يتبع من تجميع للثروات والفائض.

كما إن الحرب تدفع الجزء الأعظم من البشر إلى بذل ما فى وسعهم لتوفير أكبر قدر من الفائض والمخزون وربما لم يكن هؤلاء على استعداد لبذل هذا الجهد طواعية فى الأوقات العادية أو فى المستقبل.

والشيء الإيجابي الذي يعود بالنفع على المجتمع ليس بالضرورة شيئًا إيجابيًا للفرد. فمجتمع يتكون من خمسمائة عائلة من المزارعين الأحرار أكثر سعادة من جيش يتكون من مائة ألف تحت قيادة قائد حرب. لكن الإمبراطورية التي يحكمها قائد حرب هي القادرة على أن تخرج لنا عاصمة تمتلىء بالمؤسسات الدينية ومدارس العلماء الذين يدرسون مسارات النجوم في السماء.

إن العداوة بين البشر بالتأكيد المحرك الذي يجعل الحروب تندلع بصفة عامة ولكنها ليست مدعاة لها. فهل كانت نفوس الرجال الشباب في إمبراطورية النمسا عام 1914 أكثر عداوة من عام 1880؟ أو هل أصبح القيصر أكثر عدوانية مع التقدم في العمر؟ ولكي يذهب الفرد إلى الحرب لابد أن يكون قد استعد نفسيًا وتأججت نفسه عداء تجاه الآخر.

وإذا كان الأمر كذلك فإن ما يميز الجنود من تصرف عدائي لا يجب أن يُترك هكذا دون ضابط. فبينما يتدرب البعض ليصبحوا محاربين ذات مهارات قتالية خاصة، فإن الجيش الحديث يحتاج في المقام الأول أفراداً يتبعون الأوامر وفقًا لنظام، ويعتمد عليهم فلا تتحكم المشاعر فيهم إلا بالقدر

الضئيل. ويمكن القول إن تصرف الفرد بحيادية مجردة من المشاعر أخطر بكثير من تصرفه بعداء.

وبالرغم من أهمية كل الجهود التربوية التى تُبذل من أجل كبح جماح الشعور العدائى وتشجيع التعرف على الحضارات الأخرى وفهمها والسعى لحل النزاعات بطريقة سلمية، فإنها لم تستطع أن تمنع الأسباب التى تؤدى لاندلاع الحروب.

إن سياسة السوق الصناعية الحرّة تحكم اليوم شكل الحياة الاجتماعية للفرد على كوكبنا -وهى سياسة لم تظهر فى بنية الحياة الاجتماعية من قبل- فهى تعتمد على زيادة الإنتاجية وصنع منتجات لا تتطلب الكثير من مراحل العمل ثم سرعة استثمار الفائض مرة أخرى ليصب فى ارتفاع معدلات الإنتاج.

وهذا كله سيؤدى إلى أننا عن قريب سوف نصطدم بأقصى حدٍّ لما يمكن أن تتحمله البيئة على كوكب الأرض. وهنا تكمن الجذور لحروب جديدة. فيقال إن حروب المستقبل سوف تكون أسبابها التقلص الدائم للموارد الطبيعية، مثل نقص المياه، وهذا من الممكن تصوره.

ومن المتصور أيضًا أن تكون الحروب المستقبلية بين التكتلات الاقتصادية الكبرى، حيث سيدور النزاع حول التحكم

فى الموارد ومن يسيطر على الثروات ويتحكم فيها. وحتى يمكن تجنب حروب مستقبلية لابد أن يتحد الست مليارات نسمة -وقريبًا سوف يصل العدد إلى سبع أو ثمانى مليارات نسمة- ويتفقوا على إيجاد أشكال جديدة للحياة الاجتماعية والاقتصادية على كوكب الأرض.

عندما يستوعب البشر بعضهم بعضًا ويوفقون السياسات التجارية فيما بينهم ويبتعدون عن النظر للمصالح الشخصية فقط، عندئذ يمكن منع الأضرار التى بمقدورها أن تصيب الكل. وحينئذ لا يجب أن ينصب الهدف فقط على الزيادة المطردة للإنتاج وصنع منتجات كثيرة بأقل جهد. ولا يجب أن يكون تبادل السلع المضمون الأساسى للعلاقات بين الأفراد.

إن مبدأ كثرة الإنتاج بأقل جهد وأقل عمالة يجب أن يكون عاملا يتيح الفرصة لأن ينتفع الناس بما يتبقى من وقت لتبادل منافع اجتماعية فيما بينهم، ولأن يجدوا الوقت لتذوق الفنون وممارسة الأنشطة الترفيهية ورعاية الآخرين والتداوى والتعلم والبحث وممارسة الرياضة والتأمل فى الفلسفة.

يقول فيلسوف اليونان أرسطو:

"إذا كان فى استطاعة كل آلة إنجاز العمل مدفوعة بأمر أو

مندفعة بمفردها مثل القطع الفنية لدايدالوس (إله النار عند اليونان) التى كانت تتحرك من نفسها ، أو مثل القائم الذهبى الثلاثى الأرجل لهيفاستوس الذى كان يقوم بالأعمال المقدسة فى حركة آلية، فإن رئيس العمل لن يكون فى حاجة إلى عمال ولا الأسياد فى حاجة إلى عبيد".

فهل بلغنا هذا الحد؟

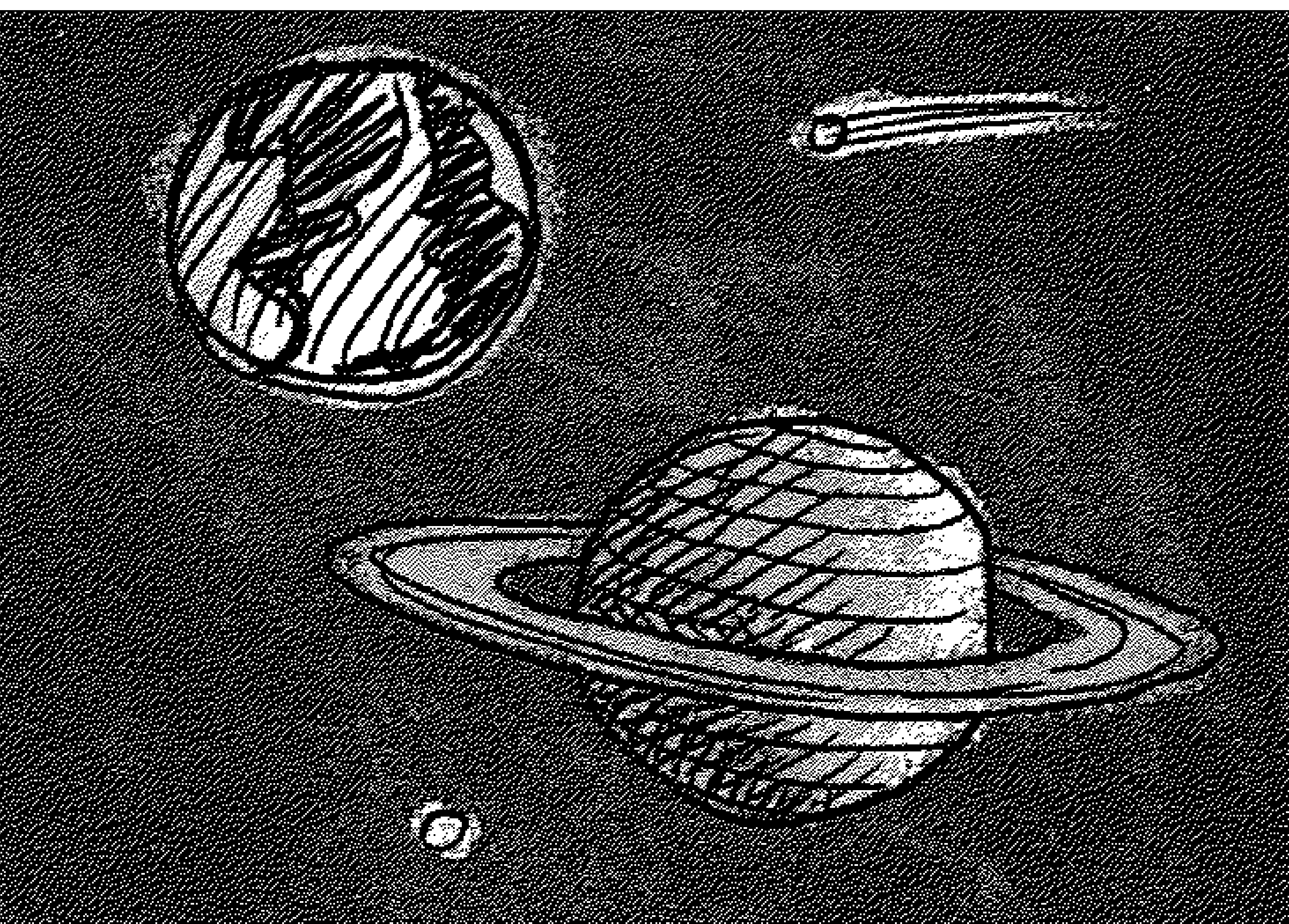
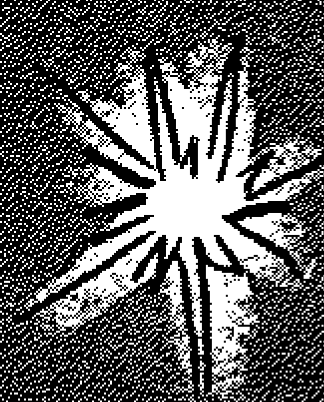
مارتين آور

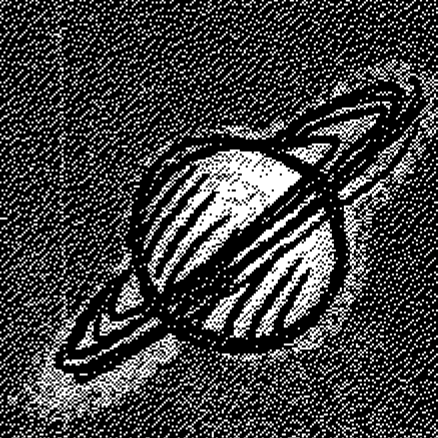
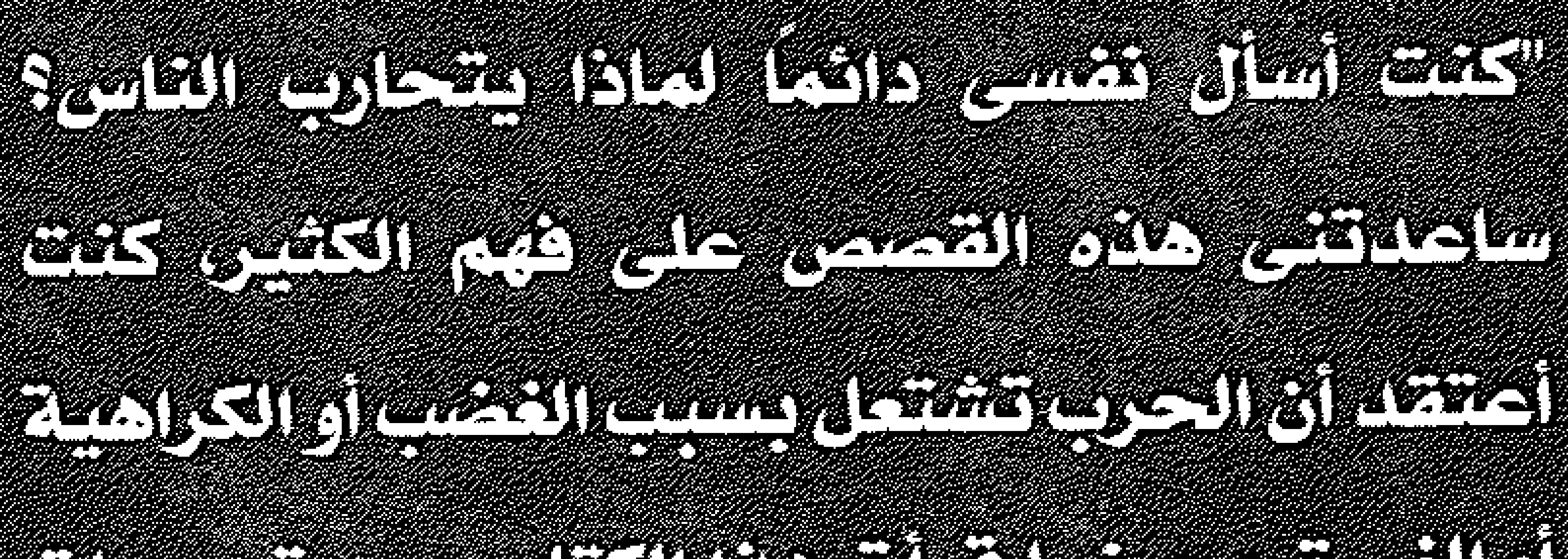
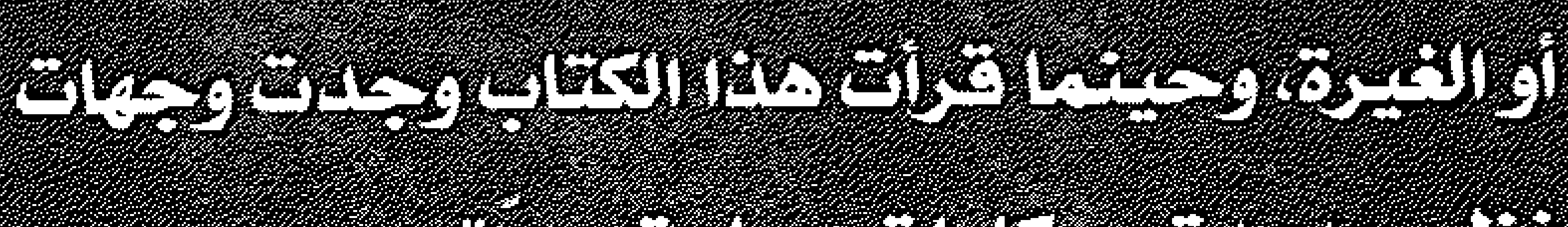
يونيه 2000

المحتويات

مقدمة	5
الحالم	7
الصبى والبندقية	9
ما حدث فوق كوكب الجزر	19
الخوف	25
الخوف مرة أخرى	26
الناس العجيبة فوق كوكب هورتوس	27
المتحاربان	42
الحرب فوق كوكب المريخ	43
العبد	54
الحرب العجيبة	56
الفيل الفصيح	69
زحام	72
تقرير لمجلس المنظومة الشمسية المتحدة	73
كلمة أخيرة	93

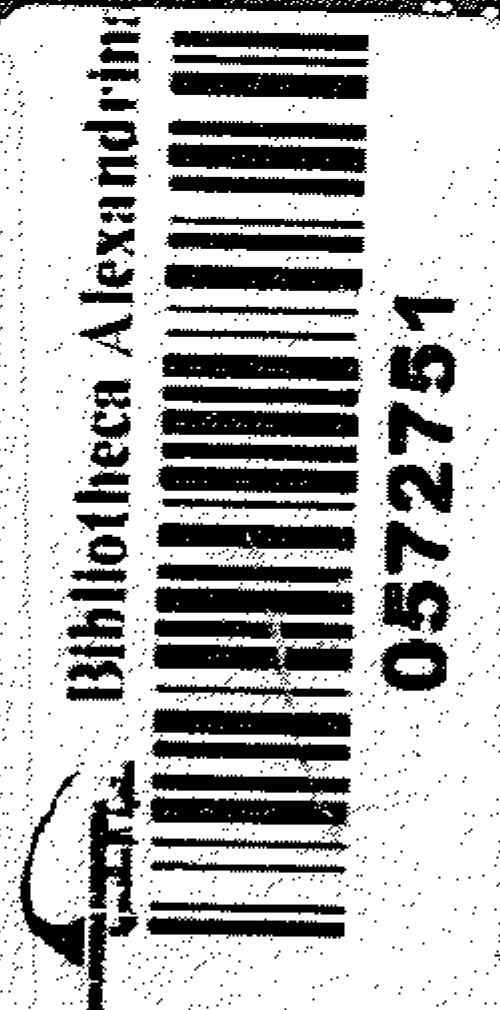



"كنت أسأل نفسى دائماً لماذا يتحارب الناس؟
ساعدتنى هذه القصص على فهم الكثير، كنت
أعتقد أن الحرب تشتعل بسبب الغضب أو الكراهية
أو الغيرة، وحينما قرأت هذا الكتاب وجدت وجهات
نظر جديدة وحكايات مسلية جداً"


ليدكا 13 س



فموضوع تلك المجموعة القصصية التى ترج
للعديد من اللغات يمس واقعنا اليوم، وما يشغ
من أمور حول الحرب والسلام.



دار الياس العصرية للطباعة والنشر